د. سلمان بن فهد العودة

بناتي

فهرس المحتويات



د. سلمان بن فهد العودة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

١٠ جمادى الثانية ١٤٣٠هـ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه هي الطبعة الرابعة من كتاب (بناتي) خلال بضعة شهور، والفضل في تحقيق هذا الانتشار يعود بعد الله تعالى لـ (بناتي)، فهن وراء تأليف الكتاب أولًا، ورواجه ثانيًا، ولهن فضل آخر في هذه الطبعة خاصة؛ فلقد زودنني بالعديد من المقترحات والإضافات والتعديلات، التي جعلتني أعود إلى نص الكتاب هذه المرة، فأعمل القلم فيه، حتى قالت لي إحداهن: أنت بصدد إعداد كتاب جديد!

الطموح أن يصل الكتاب إلى يد كل بنت، سالمًا من العيب والنقص، ولكن هذا ما لا سبيل إليه، فعلينا إذًا المحاولة المستمرة، ومن ملاحظات (بناتي) يتجدد عزمي على التحسين والتصحيح والتطوير، فشكرًا لكل مَن أعان أو صحَّح أو أرشد.

وشكرًا لـ (**أبنائي**) الذين عاتبوني على الكتاب، وطالبوني بالإنصاف، ولهم أقول: سأعمل على أن أخرج يومًا كتاب (**أبنائي**) بإذن الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

المؤلف

إهداء

إلى أمي الطاهرة .. «نورة اللحيدان»

وإلى بناتي:

غادة.. وآسية.. ونورة..

وإلى زهرتي الصغيرة:



وإلى كل مَن نادتني يومًا:

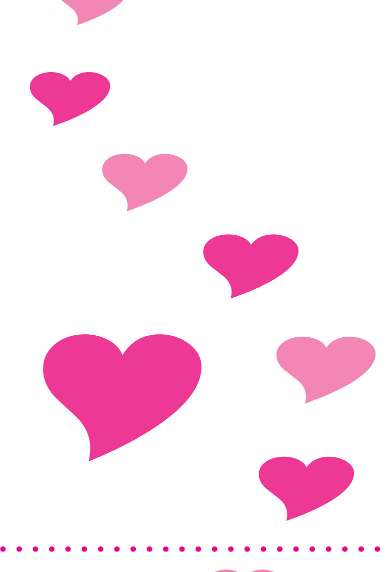


منذ لثغتكن الأولى، وأنا ألثم خضاب الحب في كفوفكن..

والآن أنا أتكئ على أسِرَّة تحمل رائحتكن، وأكتب حروف الشوق!

سلمان


بناتي



بناتي

رزقني ربِّي بثلاث من البنات، حبَّبن إلـيَّ الحياة، تأسِّيًا بالأنبياء عليهم السلام؛ فهم آباء بنات، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وسيرًا على طريقة الكرماء مِن الرجال الذين كان لسان حالهم يقول:

لقَد زادَ الحـياةَ إِلَيَّ حُـبًّا ... بَناتي إِنَّهُنَّ مِـنَ الضِّعافِ

مَخافَةَ أَن يَرَينَ البُؤسَ بَعدي ... وأَن يَشرَبنَ رَنْقًا غَيرَ صافِ

وَأَن يَعرَينَ إِن كُسِيَ الجَواري ... فَتَنبو العَينُ عَن كَرَمٍ عِجافِ

والرنق: هو الكدر.

وحبَّبن إلـيَّ الإقامة حيث هنَّ، أو السفر حيث هنَّ، على طريقة الشاعر الذي يقول:

---

(١) ينظر: سيرة الإمام أحمد (ص٤٠)، وتحفة المودود بأحكام المولود (ص٢٦).

لَوْلا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطـا[١] رُدِّدْنَ من بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لَكانَ لِي مُضْـطَرَبٌ واسِـعٌ في الأَرْضِ ذاتُ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنَّــمــا أوْلادُنــا بَيْـنَـنـا أَكْبادُنا تَـمْشِـي على الأَرْضِ

لو هبَّتِ الريحُ على بعضِهم لامتنعــتْ عيني عـن الغمــضِ

وعزَّزن في نفسي الأمل بالله، والتطلع لما عنده، لمعرفتي بوعده الصادق على لسان نبيِّه محمد ﷺ فيمَن وُلِدت له ثلاث بنات، فأحسن إليهنَّ، وجبت له الجنة، وجاء في أحاديث أخر: «**بنتان**»، وفي رواية: «**بنت**»[٢].

هذا الوعد الجميل تحفيز للآباء والأمهات أن يفرحوا بولادة الأنثى، ويعتبروها فألًا حسنًا، ويُمْنًا وسعادة، وأن يتمرَّدوا على عادات الجاهلية التي كانت -ولا زالت- تهمِّش الأنثى، وتعدُّها عيبًا وعارًا !

وحين أعبِّر بلفظ (**الرزق**) فإن هذا يبدو شديد الوضوح لمن يدري أن الأنثى حين تُولَد فهي رزق طيب مبارك، وسبب للرزق أيضًا.

وإنما يُقتَبس هذا المعنى الرائق من الرجل الذي أنصف المرأة، وحفظ حقوقها الإنسانية أُمًّا وبنتًا وزوجًا، وأعاد تشكيل العقل العربي، بل الإنساني حيال قضية الأنوثة، متجاوزًا الأعراف والتقاليد البالية،

---

(١) الزغب: أول ما يطلع من الريش، والقطا: طائر معروف.

(٢) ينظر: مسند أحمد (١١٣٨٤، ١٤٢٤٨)، والأدب المفرد (٧٨)، وصحيح مسلم (٢٦٣١)، وسنن أبي داود (٥١٤٨)، وجامع الترمذي (١٩١٢، ١٩١٦)، وصحيح ابن حبان (٤٤٦).

والمجازفات المنحرفة، والتصورات الفاسدة، ليُعلن أن المرأة شقيقة الرجل وصِنْوُه في أصل الخلق والتكليف، فقال ﷺ: «**النِّساءُ شَقائقُ الرِّجالِ**»[1].

وهكذا تجد في عناوين كتب السنة (باب مَن رُزِق البنات)، كما تجده في النص النبوي الذي يرشد إلى ذكر الله تعالى في اللقاء الذي يُنتظر مِن ورائه إنجاب الأولاد (ذكورًا أو إناثًا) فيعبِّر ﷺ بلفظ: «**اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيطانَ وجَنِّبِ الشَّيطانَ ما رَزَقْتَنا**»[2]، فهُنَّ إذًا كأشقَّائِهنَّ الذكور، رزق رباني مشكور.

نِعَمُ الإلهِ على العبادِ كثيرةٌ ... وأجلُّهنَّ نجابةُ الأولادِ

رزقني ربِّي بـ (غادة) و(آسية) و(نورة)، وهنَّ يمنحنني الوجه الجميل للحياة، الحب والعطف والحنان، ولا حياة للمرء من غير قلب يحنُّ ويفرح ويحسُّ، وهنَّ الامتداد الصادق لذلك الأصل الدافئ أمي، والتي حملت واحدة منهن اسمها الجميل **(نورة)**، ذلك الأصل الذي أدين له بعد ربِّي بالفضل والعرفان، والدوحة الظليلة التي حضنتني وحفَّتني بمشاعرها، ومنحتني مِن حياتها وروحها ودمها ولغتها الشيء الكثير، ولم أكن لأجد طعم الأمل والرضا والجمال لولا فضل الله عليَّ بالانتماء لمدرسة الأم العظيمة.

---

(1) أخرجه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

لقد رأيت دمعتها يومًا فأنشدتها:

أمُّ يا أمُّ يا عيونُ عيوني

أمُّ يا أمُّ يا جَنان جَناني

لَـمْ تغيبي عن ناظري فمحياك أمامي..

أراه رأي العَيان

تمسحين الآلامَ بالدَّمع يَهْمِي(١)

كيف تُمحَى الأحزانُ بالأحزانِ ؟!!

ها قد أخذت منها تذوق الشعر، كانت تراسلني من غيبة طويلة امتدت لخمسٍ من السنين، وتقول:

اليوم أنا ضايق صدري كثرت همومي وأنا حيّةْ

دمعي على وجنتي يجري والكبد بالنار مصليةْ

سلمان يا ليت من يدري عن حالك اليوم شخصيةْ

إذا كنا نعرف أسماء أزواج النبي ﷺ وبناته وأمه وحاضنته وقابلته ومرضعته، فلِمَ نستحي مِن ذِكْر أسماء أُمَّهاتنا وزوجاتنا وبناتنا .. ؟

ولِـمَ نخجل أن يرانا أحد نمشي إلى جوارهن في شارع أو سوق أو سفر..؟!

وإلى متى نظل نصنع المقدِّمات الجميلة عن حقوق المرأة ومكانتها

---

(١) أي: يسيل.

في الإسلام، ثم نفشل في تطبيقاتها الميدانية اليومية الصغيرة في المنزل والمدرسة والسوق والمسجد؟

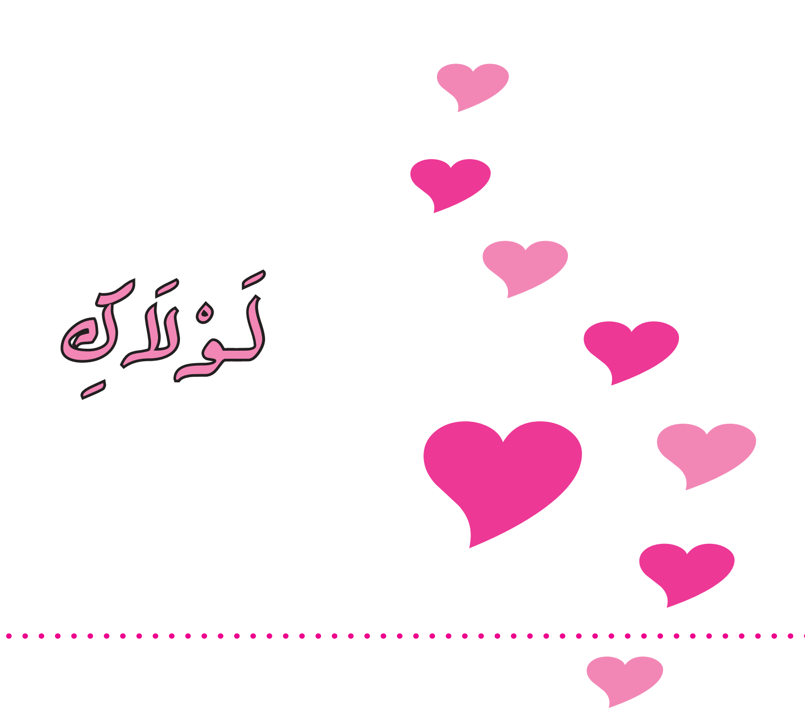
متى نعقل أن الإخبار عن «**خلق المرأة من ضِلَعٍ**»[1] لم يكن مِن أجل أن نستغلَّ هذا لتعيير المرأة أو انتقاصها كلما غاضبناها أو عاتبناها، بل كان إرشادًا إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع مخلوق آخر قادم من (الزهرة)، رقَّةً وصبرًا وتسامحًا، وتقديرًا لطبعها البشري الذي جُبِلت عليه، فهي لم تُخلَق لتكون رجلًا آخر؛ بل ليقع التكامل بين جزئي المجتمع الفطري : الرجل والمرأة.

رزقني ربِّي بالعديد من الذكور، بيد أني أحببت أن يكون حديثي عن «بناتي» لأنني أحب الحديث عن شيء مختلف ومتميز!

لبناتي المعتقات برائحة الجنة، ولكل من ناداني بنداء الأبوة... شكرًا.



(١) كما في صحيح البخاري (٣٣٣١)، وصحيح مسلم (١٤٦٨).


لَوْلاکِ

لَوْلاكِ [1]

سُهادُ عَيني يَسيرٌ في محبتكمْ ... قد طالما دَمَعَتْ شَوقًا لمرْآكِ

وخَفْقُ قلبي ما ينفكُّ يحفِزُني ... إليك ما كان خَفقُ القلبِ لولاكِ

لو اعْتَرَضتِ صَلاتي لمْ يكُن لَمَّا ... فالله أَردفَ نَجْواهُ بنجْواكِ

يا بَهجةَ العمر أَنتِ البدرُ في أُفُقٍ ... سُبحانَ مَنْ بِضُروبِ الحُسنِ حَلَّاكِ

شَوقِي إليك تسابيحٌ وأَدْعيةٌ ... وأَدْمعٌ هي فيضٌ من عَطَايَاكِ

هيهاتَ ينَسى مُحبٌّ شَابَ مَفرِقُه ... مرًّا تَجرَّعْتهُ من طِفلِكِ البَاكي

في كلِّ رَمشةِ طَرْفٍ قصةٌ طُوِيَتْ ... شُهودُها قَلبُكِ الحَاني وعَيناكِ

في كلِّ سنٍّ وليدٍ بُشرياتُ رِضَى ... تَجفوُ بها عن لذيذِ النَّومِ جَنْبَاكِ

في كلِّ لَثْغةِ حرفٍ في تَلعثُمِها ... سرٌّ لطيفٌ رَواه الصَّامتُ الحَاكي

في كلِّ خَطوٍ أهازيجٌ يَضجُّ بِها ... من المَبَاهج والأَحْلامِ مَغناكِ

في كلِّ بسمةِ ثَغرٍ فرحةٌ غَمرَتْ ... وليسَ يُدرِكُ ما تَعنيه إلَّاكِ

---

(١) إهداء إلى الوالدة الغالية الكريمة رحمها الله.

كفَّاكِ كانت سَريرُ الطِّفلِ ما فتِئتْ عن التَّحنُّنِ والتَّدليلِ كفَّاكِ

مَا ملَّ سَمعُكِ تفصيلاتِ مَعركةٍ مِنْ دونِ معنًى رواها الظَّالِمُ الشَّاكِي!

ولا بطولاتِ أوهامٍ يُصوِّرُها خَيالُهُ بين فَعَّال وتَرَّاكِ

مَنْ ذا يكافِئ آلامًا يغالِبُها ومَيضُ روحِكِ لو بالرُّوح فدَّاكِ!؟

من ذا يكافِئُ أَحزانًا يُجاوِبُها سَخِيُّ دمعِك لوْ بالعَينِ وَارَاكِ

من ذا يكافِئُ أفراحًا أَطايبُها تنمَى إلى دَوْحَةٍ من عُمُرِكِ الزَّاكِي

جازاكِ ربِّي على الحُسنَى بَعَاليةٍ من الجِنَانِ، ووُلدانٍ ، وأَمْلاكِ

صَبرًا جَميلًا كما يسلُو رفيقُ أَسىً يقينُه أَنْ مَا سَلّاهُ سَلّاكِ

تَمضِي الليالي بِنَا كلٌّ لغايتِهِ في صرفِها يَستوِي المَشكُوُّ والشَّاكِي

ومنهجُ الحقِّ مَقرونٌ بتَضْحِيةٍ كالوَرْدِ في الرَّوضِ مَحفوفٌ بأَشواكِ

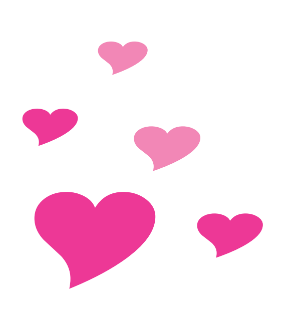
والأَمنُ وعدٌ لِمَنْ سَاروا عَلَى أَمَمٍ لم يلبِسُوا فيه إِيمانًا بإِشْرَاكِ

والنَّصرُ آتٍ لجُندِ اللهِ ما صَبَرُوا ولم يُبَالُوا بِهيَّابٍ وشَكَّاكِ

أُمَّاهُ حقُّك لا تُوفِيه مَلْحَمَةٌ تُمُدُّها بلَطِيفِ السِّحرِ ذِكْرَاكِ

لَوْلاكِ مَا فَاضَ شِعرِي مِنْ مِكَامِنِه ولا تَحَرَّكَتِ الأَشْجَانُ لَوْلَاكِ





وَلَد المَرَة



وَلَد المَرَة

الـمَرَة (المرأة) عربية فصيحة، وفي شواهد ابن عَقِيل[١]:

تقولُ عُرْسِي وَهْيَ لي في عَوْمَرة

بئس امـــــرأً وإنَّني بئسَ الـمَرَة

تقول زوجتي في جلبة دائمة: بئس الرجل أنت، وبئس المرأة أنا!.

وأقول: العوام كثيرًا ما يقولون: اخلقه، واخلق له. أي: أن الطيور على أشباهها تقع!

والحق أن هذه (الـمَرَة) في البيت المذكور شجاعة في اعترافها على نفسها بالسوء، وهذا ما لا يطيقه الكثير من أشدَّاء الرجال.

بينما يعلق عليها الرجال أحيانًا ما لا شأن لها به، فيحمِّلونها مسؤوليةَ أُنثوية المولود، وكأنَّ ولادة الأنثى عارٌ، بينما هي في الشريعة حجاب من النار، ورزقٌ دارّ.

والمعلوم في الشرع والعلم الحديث أن المولود خليط أمشاج من نطفة الرجل وبويضة المرأة، وفي محكَم التنزيل: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ

---

(١) شرح ابن عقيل (٣/ ١٦٢)، وانظر: الاشتقاق (ص:١٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٢٦)، (٢/ ١٦٥).

﴿وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦]، وهذا قد يرجِّح عند بعض أهل التأويل مسؤولية الرجل عن جنس المولود، وهكذا الآية الأخرى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٦]، كما رجَّحه الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره[١].

وهذا محل نظر، لكن ما لا نظر فيه هو أن الرجل والمرأة شريكان في هذا الجنين.

وفي صحيح السنة بيان أنه إذا علا ماءُ الرجل أَذْكَرا بإذن الله، وإذا علا ماءُ المرأة آنَثا بإذن الله[٢].

ويعلقون عليها بعد هذا جانب السوء والنقص في التربية والإعداد، فإذا أراد الأب أن يزدري ولده وينتقصه قال له: (يا ولد الـمَرَة).

وإذا أرادوا مدح البنت قالوا: (بنت رجال).

وفي الأثر أنَّ امرأة ردَّت على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على المنبر في قضية المهور، فقال: «أخطأ عمرُ، وأصابت امرأةٌ»[٣].

وهذا الأثر وإنْ حسَّنه ابن كثير والسيوطي، إلا أنه ليس بالمشهور، وعلى فرض صحته فليس المقصود به -والله أعلم- استنكار الصواب على المرأة، وإنما الإشارة إلى حصول الصواب من إنسان مجهول غير

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٩).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٣٩٣٨)، وصحيح مسلم (٣١٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٠٤٢٠)، وسعيد بن منصور (٥٩٨)، وأبو يعلى -كما في المطالب العالية (١٥٦٦)- وابن المنذر في تفسيره (١٥٥١)، والبيهقي (٧/ ٢٣٣)، وينظر: علل الدارقطني (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٩)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٤).

معروف بالعلم يرد على أمير المؤمنين وهو على المنبر.

وكثيرًا ما يَرِد في مجالسنا وأحاديثنا أن فلانة –وهي امرأة– قالت كذا، أو عملت كذا !! في سياق استغراب صدور الخير والصواب والتسديد منها.

والمرأة ذاتها غدت منسجمة مع هذه المعاني متشرِّبة لها؛ لأنها ثقافة مجتمعية عميقة لا محل للجدل حولها.

ولا يكاد يسمع صوت جدال بشأنها، إلا من قبل المنادين بإلغاء التمييز المطلق بين الجنسين، ومن دعاة ثقافة (الجندر)[1]، ومنظِّري وثيقة الأمم المتحدة بشأن حقوق المرأة، وهي وثيقة مبنية على فلسفة خاصة بالمجتمع الغربي، ولا تراعي ثقافات الأمم والشعوب الأخرى، وقد تحفَّظت عليها العديد من الدول الإسلامية والعربية كالسعودية وماليزيا ومصر وغيرها.

بَيْد أن مجتمعنا الإسلامي والعربي والخليجي، بحاجة إلى إعادة صياغة الصورة الصحيحة للمرأة التي لن تكون رجلًا بلباس مختلف، ولن تتخلى عن خصوصيتها وأنوثتها وتميزها، ولن تكون ظلًّا للرجل وصدى واهنًا لإرادته وحضوره.

إن كل الحركات المتطرفة الداعية إلى الانفلات، تقتات من انحراف

(١) الجندر (Gender) أو: النوع الإجتماعي: فلسفة تسعى إلى إلغاء أي تفرقة تترتب على الاختلاف الجنسي بين الذكر والأنثى، وترفض المساواة التي تراعي الفروقات (الخَلقية) بين الجنسين، وتدعو إلى التماثل الكامل بينهما في كل شيء.

المفاهيم المتعلقة بالمرأة، ومن سوء التطبيق والتعامل، وسوء استخدام الرجل للسلطة.

ولقد كان لافتًا للنظر ردُّ الفعل الإيجابي على قرار هيئة كبار العلماء في السعودية بشأن تحريم عضل الفتاة وعقوبة الوالد الذي يمنع بنته أو موليته من الزواج.

ومع أن القرار لم يأتِ بجديد، إلا أنه كان ضروريًّا، ويجب أن يكون بداية للعديد من القرارات المشابهة التي تضع تفصيل عدالة الشريعة موضع التنفيذ، وتذكِّر الناس بها، بل وتَـحْجَبُهُ أولئك الذين لا يريدون أن يفهموا، أو لا يريدون أن يمتثلوا.

غير أن الأمر لا يقف عند جزئيات من المسألة؛ لأن بعض مقررات الثقافة الأسرية والمدرسية والوعظية تضع المرأة موضع الشك والرِّيبة، وتختصرها في جانبها الجسدي الجنسي الشهواني، وكأن الأنوثة عيب أو عار، وكل أحد يستثني من هذا المعنى أُمَّه؛ لأنه ليس بمقدوره أن يتجاهل التشديد الكبير بشأنها في النصوص، ولا أن يتعامى عن الفطرة الإنسانية، ولا أن يتنكر للجميل والإحسان، لكنه لا يعمِّم الشعور النبيل على زوجته أو أخته أو بنته، فيتناقض مع نفسه.

ليس هذا تعميماً، ولكنه حديث عن معنى قائم في نفوس لو تفطَّنت له، وأدركت مجانبته للعدل، ومجافاته لمقتضى الشريعة لجاهدت في الخلاص منه، واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى.

وقد يقدر الناس على تغيير بعض أنماط سلوكهم، وإدراك خللها، أكثر مما يقدرون على تغيير نمط التفكير ومعالجته، مع أن الفكرة أساس العمل والسلوك.

فمتى يلتفت المربُّون والعلماء والمصلحون والخطباء والآباء والأمهات.. إلى أهمية ضبط المفهومات التي تنظم العلاقة داخل المجتمع؛ صيانة له من التفكك من داخله، أو الغزو من خارجه.

ومتى يكون هَدْي محمد ﷺ مع أمِّه -فقد زار قبرها وبكى بكاءً شديدًا[(١)]- ومع أزواجه، ومع بناته- «**بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا يُرِيبُهَا**»[(٢)]- ومع سائر النساء... هو الحجة والمرجع، وإن خالف بعض مألوفات الناس وأعرافهم؟



(١) كما في صحيح مسلم (٩٧٦).

(٢) قاله لفاطمة رضي الله عنها: أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

فَتَاةٌ مُرَاهِقَةٌ



فَتَاة مُرَاهِقَة

أَدخلُ على ابنتي في غرفتها، فأجدها مستغرقةً في التَّفكير، شاردة الذِّهن...

ربما لم تشعر بدخولي! إنها لم تَعُد تبوح لي بأسرارها، كما كانت من قبل.

فما الذي اعتراها؟

لقد دَخَلَتْ مرحلة المراهقة، وما يصاحبها من تغيُّرات واضطرابات ترتبط بالتحوُّل الجسديِّ والنفسيِّ، باتجاه النُّضج والاكتمال.

ربما كان البلوغ؛ هو أهم حدث في حياة الإنسان، الأمر الذي يعني الدخول إلى مرحلة جديدة؛ تضِجُّ بالانفعالات، والتقلُّبات.

ويبدأ النُّضج الجنسيُّ للفتى، الذي يستقبل عهد الرُّجولة.

وللفتاة التي تستقبل عهد الأمومة، والقدرة على الحمل والإنجاب.

إنها ثورة الجسد، تقودها غدد صمَّـاء، تشهد نشاطًا مفاجئًا، والذي عادة ما يحدث للفتاة، بين سن الحادية عشرة إلى سن الخامسة عشرة.

وربما في المناطق الحارة، يقع قبل ذلك.

قرأتُ وسمعت في الـ (بي بي سي) خبرًا يقول: إنَّ دراسة جديدة كشفت أنَّ واحدة من كل ست فتيات في بريطانيا تبلغ في الثامنة من العُمر، مقارنة مع فتاة واحدة من كل مائة فتاة تبلغ في هذه السن قبل مائة سنة!

وكذلك جاء في الدراسة: إنَّ فتى واحدًا من كل أربعة عشر صبيًّا قد يبلغ في الثامنة من عمره، مقارنة مع واحد من كل مائة وخمسين في عمر الآباء والأجداد!

تقول البروفيسورة (قولدنق) -تعليقًا على هذا التقرير- : أكثر من نصف الفتيات في بريطانيا يَصِلْن إلى سن البلوغ الجنسيِّ بحلول العاشرة من العمر!

وقد شملت هذه الدراسة ألفًا وخمسمائة فتاة.

فربما تبلغ الفتاة أو الفتى، في مرحلة مبكِّرة، ما نسمِّيه بمرحلة المدرسة الابتدائيَّة.

ونحن نجد في السُّنَّة: أنَّ عائشة رضي الله عنها دخل عليها النبي ﷺ وهي بنت تسع سنين[(١)]. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «بنت تسع سنين امرأة»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٤)، ومسلم (١٤٢٢).

(٢) ينظر: جامع الترمذي (١١٠٩)، والسنن الكبرى للنسائي (١٥٨٩)، وفتح الباري لابن رجب (٢/ ٧١٢)، وتحفة الأحوذي (٤/ ٢٠٨)، وعون المعبود (٦/ ٨٣)، والمغني (١/ ٤٠٧).

وخلال هذه المرحلة تنمو الفتاة بشكل ملحوظ، ويزداد طولها، وتكتمل أنوثتها: صوتُها، وصدُرها، وحوضُها، وخَصْرُها، ووسطُها، وشعرُها، ويظهر الحيض إيذانًا بالبلوغ.

فالحيض هو أهم العلامات المتعلِّقة بالبلوغ عند الفقهاء والأطباء على حدٍّ سواء.

إنها مناسبة جديرة بأن تحتفل بها الفتاة، فها هي قد دخلت سنَّ الرشد والكمال والنُّضج والمسؤولية، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

إنها مرحلة جميلة جديدة، مليئة بألوان الإيجابيات، والمباهج، والإشراقات.

إنها ولادة جديدة، وأنت ترين وتشاهدين، فيما خلق الله سبحانه وتعالى، من خلقه دودة القز، تتحول إلى فراشة جميلة، تسحر العيون بألوانها الزاهية، وتأخذ بالألباب وهي تطير في الحقل، من زهرة إلى زهرة.

كثير مِن الأمهات والمعلمات لا يجرؤن على الحديث، عن مثل هذه المسألة!

وربما تُلْقِي المعلِّمة درس الحيض على استحياء، وقد تسمح لبعض الطالبات بالغياب، أو التسلُّل، أو عدم الحضور -إنني أستحي من هذا الموضوع- هكذا تقول!

لما حاضت عائشة رضي الله عنها وكانت مُحرِمة، متلبِّسة بنسك بكت،

وقالت للنبي ﷺ: إنها حاضت. فقال لها النبي ﷺ: «**إِنَّ هذا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّـهُ على بَنَاتِ آدَمَ...**»[(١)].

فليس في الأمر ما يدعو إلى الخجل، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَـمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ في الدِّينِ»[(٢)].

إنها حكمة الباري جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

فالله جل وعلا أحسنَ كل شيء خلقه، وهذا جزء مِن خلق الله سبحانه وتعالى، ومِن سنَّته في عباده، وفي إمائه.

قد تُخفي البنت الخبر عن أهلها، وهذا يصنع لها حرجًا عظيمًا، ومشكلة نفسيَّة.

بعضهن لا تتعطَّر، ولا تغيِّر ملابسها، ولا تغسل شعرها ولا تزيِّنه أثناء الدَّورة.

ويعتقد بعضهن أن عقد الزَّواج أثناء الدَّورة محرَّم.

وهذا كله مما ليس له أصل.

أخريات، قد يصلِّين أثناء الدورة الشهريَّة؛ إما جهلًا، أو خجلًا.

ومما أجمع عليه العلماء أنَّ الحائض لا تصلِّي ولا تصوم، وأنها تقضي

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤)، ومسلم (١٢١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٢).

الصَّوم ولا تقضي الصلاة[١].

كثيرات يطُفْن بالبيت في حجٍّ أو عمرة، ثم يسألن عن الأمر!!

ثم تقول إحداهن: لقد خجلتُ من والدي، أو أخي، أو محرمي، أو من جماعتي؛ فطفتُ، ولم أخبرهم بالأمر.

* معلِّمة تقول: صَلَّيْتُ بالبنات شهرًا كاملًا، لم يتغيب منهن عن الصلاة ولا بنتٌ واحدة!!

يستحيل هذا... أن تكون هؤلاء البنات قد وصلْن إلى المحيض ولم يحضْن؛ فهن طالبات في المرحلة الثانويَّة، ولكن يغلب عليهن الخجل.

* فتاة مصابة بعُقدة نفسيَّة من دورتها الشهريَّة، حينما أخبرت أمها بهذه الدورة، وأنها قد حاضت، وكانت مبكرة، صرخت أمها في وجهها، وصاحت: لماذا؟ الآن؟! أنت ما تزالين صغيرة!!

وكأنَّ هذه الدورة باختيار البنت أو بيدها!

* طالبة في الصف السادس... وحدها تبكي بشدة أمام دورة المياه، ومعلمتها تستعجلها في دخول الفصل...

تدخل المسكينة، ودموعها تنحدر على خدَّيها، ومريولها المدرسيُّ متسخ... والمعلمة تتأفَّف منها، وتَشْمَخُ بأنفها[٢]... وتنسى أنَّ مهمتها أن تنهض بهذه البُنَيَّة، وأنْ تعلِّمها، وأنْ تربِّيَها...!

(١) ينظر: الإجماع لابن المنذر (ص ٤١)، مراتب الإجماع لابن حزم (ص ٢٣، ٤٠).

(٢) أي: تتكبر وتتعظم عليها.

* فتاة لا تدري ما هذا الدَّم الذي نزل عليها فجأة، دون أن تسمع عنه شيئًا من قبل؟

كانت تظن -وهي تحدِّثني، وهي من محارمي- جرحًا أصابها؛ بسبب شِجار جرى بينها وبين أختها الكبرى...

لكن الدَّم استمرَّ، وظلَّت في دورة المياه ساعات، تصبُّ عليه الماء، وهو لا يزول، واستمرَّت فترة طويلة من المحيض، لا تكاد تغادر دورة المياه إلا لمامًا...!!

إنَّ الوعي مهمٌّ شرعًا، حتى تعرف الفتاة ما لها وما عليها، وتدري أنها دخلت مرحلة البلوغ، وأنَّ قلم التكليف أصبح يجري عليها، وتعرف أحكام الصَّلاة والصِّيام، والحجِّ والطَّواف والقرآن، وغير ذلك من الأحكام.

والراجح -فقهًا- أنه يجوز للحائض أنْ تقرأ القرآن، من غير أنْ تمسَّ المصحف.

وهذا مذهب الإمام مالك، واختيار ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]. والقرآن يمنحها هدوءًا وسكينة نفسيَّة، ويمحو أثر التوتر والإجهاد عنها.

والوعي مهمٌّ طبيًّا، حتى تستطيع البنت أنْ تعرف نوع الغذاء، ونوع العلاج، والتعامل مع هذه الدَّورة، التي تؤثر في بدنها، وفي نفسيَّتها، وفي ظروفها.

---

(١) ينظر: الكافي لابن عبدالبر (ص ١٧٢)، بداية المجتهد (١/ ٤٩)، الذخيرة (١/ ٣١٥)، حاشية الدسوقي (١/ ١٢٦)، الفتاوى الكبرى (١/ ٣٤١)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٨٩).

إنَّ اليهود، هم الذين يمتلئ تاريخهم بالكراهية والمقْت للمرأة الحائض، حتى كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يسكنوا معها في بيت واحد.

فكان الصَّحابة رضي الله عنهم حينما اختلطوا باليهود سألوا النبي ﷺ، فقال لهم: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**»[1]. أي: اعملوا مع الزوجة الحائض ألوان المداعبة والمعاشرة والمجالسة إلا النكاح.

وقد كان ﷺ يتَّكئ في حِجر عائشة رضي الله عنها؛ فيقرأ القرآن وهي حائض[2].

فالتعرُّف والوعي مهم طبيًّا، وشرعيًّا.

وقد يصحب هذه التغيرات الجسديَّة -المتعلقة بمرحلة البلوغ أو المراهقة- تغيُّرات نفسيَّة، وشخصيَّة، **منها**:

رغبة البنت في إثبات ذاتها؛ سواء عن طريق الانتماء إلى عالم، ومجتمع، ومجموعة غير مجموعة الأسرة والبيت، أو في التمرُّد على بعض الأنظمة، أو في الميل إلى الجنس الآخر، والرغبة في إقامة علاقات معهم، بشكل مباشر أو غير مباشر.

إنَّ الفتاة بهذه الأعمال، تريد أن تبعث برسالة إلى الأم، مفادها:

* إنَّني قد أصبحت امرأة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٢٩٧)، وصحيح مسلم (٣٠١).

* وإنَّني ذات كيان مستقل.
* وإنَّني لم أعدْ تلك الطفلة، التي كنتم تتعاملون معها من منطلق الطفوليَّة.

وهنا مَكْمَنُ الخطورة؛ إذ قد يتم التعبير عن هذه الرسالة بطريقة خاطئة، وقد تجد الفتاة نفسها في الموضع الخطأ، الذي يجب أن تتداركه فورًا.

الغَرَارة(١)، والحداثة، وقلَّة التجربة، والصفحة البيضاء التي تعيشها البنت تجعلها في هذه المرحلة بالذات -مرحلة المراهقة، مرحلة المدرسة المتوسطة غالبًا- تصدِّق كل ما تسمعه من الآخرين.

والعواطفُ المتأجِّجة والحسَّاسة، والميل الفطريُّ للجنس الآخر يمكن أن يقودها إلى الانحراف، إذا لم يكن هناك رعاية جيِّدة لها.

إنَّ الكثير مما نشاهده على الفتيات في هذه المرحلة المبكرة ليس بالضرورة تعبيرًا عن الانفلات الأخلاقي، وليس مقصودًا لذاته، بقدر ما هو بعض تجلِّيات هذه المرحلة العمريَّة ومتغيِّراتها.

ولهذا تحتاج الفتاة -في هذه السِّن- إلى عدة أمور:

أولًا: القدوة الحسنة من الوالدَيْن، من المعلمات، من المرشدات؛ فهو عمر حساس لالتقاط أيِّ حالة سلبيَّة، من التناقض بين الأقوال والأفعال.

---

(١) أي: قلة الفطنة والتجربة.

مثال: مُدرِّسة تحدِّث الطالبات عن الكِلِيبَّات الغنائيَّة المتفسِّخة، وعدم التعلُّق بها...

وفي هذه الأثناء؛ رنَّ جرس هاتفها الجوال، وكان عبارة عن أغنية من ذلك القبيل.

ثانيًا: الصداقة مع الأم؛ فلا تفرض الأم على البنت ما تريد، ولكن توجِّهها وترشدها، وتحاول إقناعها، وتغير طريقة التعامل معها التي كانت في مرحلة الطفولة، سواء ما يتعلق بدراستها، أو ملابسها، أو برنامجها، أو صداقاتها وعلاقاتها، أو حتى بالأخطاء التي يمكن أن تقع فيها البنت في هذه المرحلة.

لا بدَّ من التعامل معها بيقظة ووعي وحساسية ومحاولة الإقناع، وليس محاولة فرض الرَّأي.

وألَّا تَسْمَع البنتُ: أنت ما تزالين صغيرة.. أنت ما تزالين طفلة..

ثالثًا: الاعتراف بالبنت من خلال:

* الثناء على شخصيتها، وعلى إنجازاتها، وعلى الجوانب الطيِّبة عندها.

* احترام خصوصيَّاتها، وشخصيَّتها المستقلة.

رابعًا: المراقبة الذكيَّة الحذرة، خصوصًا حينما تلاحظ الأم تغيُّر سلوك البنت؛ أو تغيُّر نوع الصديقات التي تقيم معهن العلاقات، أو كثرة إدمان البنت استخدام الهاتف أو النت، أو كثرة خَلْوتها في الغرفة بمفردها، أو شرودها الذهني!

إنَّ العلاقات والصداقات يمكن أنْ تصنع أشياء كثيرة جدًّا في غفلة الأسرة.

خامسًا: معالجة الأخطاء التي تقع فيها البنت بحكمة ولباقة، وعدم التحقير، أو التقريع المستمر، أو القسوة المفرِطة.

بعض الفتيات –في هذه السن– قد يقعن في مشكلة معيَّنة.

مثلًا: مشكلة التَّدخين، وهذه ظاهرة عالمية.

فقد كشفت أكبر دراسة أُجريت على المدخِّنين في العالم بأن الفتيات اليوم يتعاطين التبغ، بمعدلات أعلى مما كان عليه الأمر سابقًا.

جاء ذلك نتيجة دراسة مشتركة، شملت أكثر من مليون مراهق، في أكثر من مائة وخمسين بلدًا في العالم.

وفي إحصائية سعوديَّة: تبيَّن أنَّ حوالي ٢٠٪ من المراهقين، وحوالي ٤٪ من المراهقات يدخِّنون السجائر.

كما أكَّدت الدراسة أيضًا وجود علاقة بين التَّدخين، وبين تعاطي المخدِّرات.

إنَّ التدخين، قد لا يكون هدفًا بذاته، لكنَّ الفتاة حينما تتعلَّمه؛ فهي تريد أنْ تتمرَّد على تقاليد الأسرة، أو أنْ تُثْبِتَ شخصيَّتها، أو أنْ تُقَلِّدَ غيرها.

تجربة شخصية:

دعاء (طالبة في كلية الصيدلة)، عمرها ثماني عشرة سنة.

في مرحلة المراهقة، تقول: كانت تراودني -دائمًا- الرغبة في الانطلاق، وكسر القيود المفروضة عليَّ من أهلي.

- أريد أن أخرج من المنزل، دون أنْ أستأذن من والدي أو من والدتي.

- أريد إذا خرجت مع صديقاتي أو لسهرة، أو لغير ذلك ألا أتقيَّد بوقت محدد، في الرجوع إلى المنزل.

أما الآن فقد أدركت تمامًا أنَّ المطالبة بالحريَّة المطلقة هو ضرب من الجنون.

لأنَّ الفتاة -في هذه المرحلة- لا تدرك ما ينفع وما يضرُّ، وقد لا تحسن التصرُّف، وقد توجد لديها الرغبة الجانحة الجامحة، في اكتشاف العالم مِن حولها، دون وصاية أو رقابة من أحد.

فهذه الفتاة استطاعت أن تتجاوز مرحلة المراهقة بطريقة سليمة.

أمَّا أمُّها، فتقول: لم يكن في بيتنا أيُّ نوع من القهر والتسلُّط، كانت الشورى أساس قراراتنا الأسريَّة، حتى تجديدات المنزل، وحتى اختيار المدرسة، أو مكان الاصطياف، أو طريقة المصروف المنزلي، أو التعامل مع الجيران والأقارب؛ فإنَّنا نُشْرِك البنات فيها، ونأخذ برأيهن.

إنَّ الشورى؛ تُشعِر البنت بمكانتها، وتدرِّبها على التعقُّل، ورؤية المصالح المستقبليَّة، وتقديم شيء على شيء، وترك شيء؛ لأنَّ هناك ما

هو أولى وأفضل منه.

إنها مَدْرَسة مهمة جدًّا في الحياة: الشورى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالتقطي -أيَّتها الأمُّ- من هذه الآية الكريمة أمرين:

الأول: اللين والرفق، وعدم القسوة، أو العنف، أو الغِلظة في معاملة البنات، خصوصًا في مرحلة المراهقة.

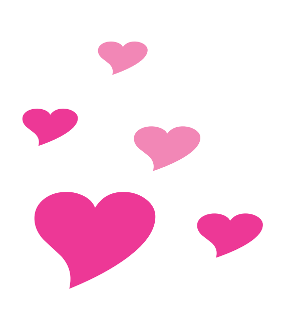
الثاني: الشورى للبنات؛ سواء فيما يخصُّهن، في قضيَّة الزواج، وفي الأمور المتعلِّقة بالأسرة والمنزل، بشكل عام.

من خلال تجربة شخصيَّة، ومقارنة لعدد من الأُسر، التي أعرف الكثير من أفرادها تبيَّن:

*** أنَّ بعض الأسر التي تتمتَّع بهدوء ولُطف في معاملة الأولاد والبنات أولادُهم وبناتهم أكثرُ استقامةً والتزامًا، وأبعدُ عن الانحراف.**

*** بينما الأُسر التي تقوم على القسوة والشِّدَّة، وعلى فرض الرَّأي والإرادة؛ فإنَّ الأولاد والبنات يجدون مندوحة ومهربًا خفيًّا، ويمارسون أشياء بعيدًا عن عيون الآباء والأمَّهات.**





فَتَاة مُهِمَّة



فَتَاة مُهِمَّة

إن شعور الإنسان بأهميته، شعور فِطريٌّ راسخ، وربما يكون -هذا الشعور بالأهمية- وراء كثير من الإبداعات والإنجازات والأعمال الجليلة والعظيمة، التي يعرفها الناس.

ولهذا ذكر الله عز وجل لنا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وقال ﷺ: «**إذا مَاتَ الإنْسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا من ثَلاَثَةٍ: إلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(١).

فهذا إشارة إلى أن الإنسان يحب أن يشعر بأهميته وذاته، حتى بعد موته يحب أن يبقى عمله.

ولذلك أرشده النبي ﷺ إلى: الصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به، والولد الصالح -ذكرًا أو أنثى- الذي يدعو له.

إن الذين يمارسون تحقير الآخرين وازدراءهم، ومصادرة شخصياتهم لن يجنوا من ذلك إلا الشوك والعلقم، سواء كانوا مسؤولين، أو مربِّين، أو آباء، أو معلِّمين، أو أي شيء آخر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

ومجتمعنا بحاجة إلى دروس ودورات في هذا السياق؛ فالكثيرون يتوارثون تحقير المرأة، والنظر إليها على أنها مخلوق من الدرجة الثانية، وربما العاشرة أحيانًا. ولازال بعضنا أسرى لهذه النظرة الدونية، وكأننا لم نسترشد بالهدي النبويِّ، والوحي الربانيِّ كما يجب، أو ما زال يزاحمه الإرث الجاهلي المترسخ، مع أننا في عصر تُرفَع فيه شعارات كثيرة: الحرية، حقوق الإنسان، حقوق المرأة، العدالة، المساواة...؛ حتى أصبح كثير منا ينظرون بريبة إلى هذه المصطلحات والمفاهيم.

بينما في صميم ديننا وشريعتنا ضمانات وحقوق أرقى وأنبل من أي مُدوَّنة أو ميثاق لحقوق الإنسان في العالم.

أولًا: يتداول كثير من الناس مفاهيم مجحِفة بحق المرأة؛ منها: إن المرأة خائنة بطبعها، **فتسمع مَن يقول:**

* إن ماتت أختك، انستر عرضك!
* يا تسترها يا تقبرها!
* همّ البنات للممات!
* دفن البنات من المكرمات!

ثانيًا: ولادة البنت في بعض البيئات عار وشؤم!

حتى تقول بعض الأمثال: صوت حية، ولا صوت بنية!

ثالثًا: ليس للمرأة رأي ولا قرار!

ولهذا يتداول الكثيرون: مقولة (شاوروهن واعصوهن)؛ وربما

رووه على أنه حديث عن النبي ﷺ، وهو شيء مكذوب، لا أصل له[1].

رابعًا: المرأة للمطبخ.

ولذلك يقولون: المرأة لو راحت للمريخ آخرتها للطبيخ.

إنَّ هذه المفاهيم السَّائدة هي المفاهيم العربيَّة الجاهليَّة الأولى؛ وليست المفاهيم النبوية.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فيذكر الله سبحانه وتعالى المرأة مع الرجل، جنبًا إلى جنب.

أتحدَّثُ عن تجربتي الخاصة، أنَّني تعلَّمتُ من بعضِ الدوائر الخاصة عبارات يشبه أن تكون نبزًا وتعييرًا للأنثى، تُورِثُ الازدراءَ والاحتقارَ في وعي الإنسان، أو في لا وعيه، وتُؤثِّرُ على تعامله مع أخته إفراطًا من الغيرة، ومبالغة في الحرمانِ مِن حقِّ الحديثِ أو التعبير عن الحاجات والميول، حتَّى تصبح دائرة (العيب) واسعةً فضفاضةً، ولم ينتزع هذا الإحساس السلبي شيئًا مثل الإيمان بحكمة الباري في خلقه الأنثى، واختصاصها بصفات الأنوثة، وأن هذا غاية الحسنِ والكمال والإتقان، وهذه فكرة جوهريَّةٌ ضخمةٌ تحتاج إلى فهم وتفصيلٍ.

إن كثيرًا من البنات يَشْعُرْنَ بالغبن، والغيظ، والغضب؛ من عدم المساواة في المعاملة مع الأولاد.

(١) ينظر: المقاصد الحسنة (٥٨٥)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص٢٢٢)، والسلسلة الضعيفة (٤٣٠).

فإذا جاء الولد، وقد نجح في دراسته ولو بأدنى مستوى؛ فإنه يُستقبَل بالفرح والاستبشار والهدايا. لكن إذا جاءت البنت بالشهادة، وقد حصلت على تقدير ممتاز؛ فقد يقال لها: هذا لا يهمُّ.. وما الفائدة؟!.. شهادة ستعلق على حائط المطبخ!

وبمثل هذا وُجِد المناخُ الملائم لدعوات التغريب؛ باعتبارها ملاذًا من هذا الظلم الاجتماعي في ظن الكثيرات ووَهْمِهن.

وقد سمعت مقابلة مع إحدى داعيات تحرير المرأة في مصر، فكانت تتكلم عن شيء كهذا، إنها ردَّة فعل لبعض العادات والأوضاع، التي ليست من الإسلام، ولكنها من آثار الجاهلية الأولى.

إن المرأة تحتاج إلى مَن يمنحها الأهمية، ويستمع لشكواها، ويُشبِعها وجدانيًّا وعاطفيًّا؛ فإذا فقدت ذلك من أسرتها ومن مدرستها؛ فإنها سوف تجده في مكان آخر، والإعلام اليوم يعطيها دروسًا يومية متواصلة في هذا الباب.

لقد أثبت علم النفس الاجتماعي أنَّ الاستماع الجيد إلى الآخرين ليس بالضرورة أنه يقنعهم، أو يغير رؤيتهم؛ ولكنه يزيد من أواصر المحبة، والتقارب الروحي والعاطفي.

إن من أبرز صفات العظماء، وأصحاب التأثير: الاستماع، والإصغاء إلى الآخرين.

وقد جاء إلى النبي ﷺ مجموعة من مشركي مكة يعرضون عليه أمورًا؛ فتكلَّموا حتى انتهوا، فلما انتهوا قال لهم: «**أَقَدْ فَرَغْتُمْ**». قالوا:

نعم. فقرأ ﷺ شيئًا من القرآن[1].

إن الإنسان الذي يتحدث إليك -ربما- يشعر بظلم، أو يحسُّ بحرمان، أو يحمل وجهة نظر يتحمَّس لها، ويريد أن يوصلها إليك.

فلا بد أن تسمح له بأن يفرغ هذه الشحنات، بطريقة صحيحة وواعية، وإذا لم تستمع إليه بشكل جيد؛ فإنها تتحول إلى طوفان، وسيل جارف، أو إلى عقد ومشكلات نفسية مُدمِّرة، والزمن كفيل بتحويل هذه الذرات إلى قنابل موقوتة.

بالتجربة يتبيَّن أن المشكلات الكبيرة، في نظام الأسرة، أو الدولة، أو الفرد كانت في بادئ الأمر مشكلات صغيرة لم يتمَّ احتواؤها، والتفاعل معها، فتضخَّمت وتفاقمت وانفجرت؛ فالإصغاء الفعَّال المدروس يُشكِّل صمام أمان للفرد والمجتمع، وحين يكون هناك نوع من التوتر بسبب مشكلة ما، ينسى الكثيرون إمكانية احتواء هذه المشكلة، ويُلقُون على النار مزيدًا من الحطب؛ فتشتعل أكثر وأكثر.

وهناك في موضوع الاستماع عدد من المهارات، يمكن اتباعها:

الأولى: تلخيص الفقرة، التي تـمَّت المحادثة حولها.

فإذا تكلمتما في نقطة معينة، وسمعت منه، وسمع منك؛ فإنك يمكن أن تقوم بتلخيص هذه الفقرة..

---

(١) ينظر: سيرة ابن إسحاق (٤/ ١٨٧-١٨٨)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٣٠-١٣١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٤٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٩٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٦٣-٦٤)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٨٦)، وكتاب مع المصطفى ﷺ (ص٢٦٩-٢٧٥).

وتتحدث أن وجهة نظر محدثك تعني: كذا وكذا..، وأنك تستدل عليها بالأدلة التالية...

بهذه الطريقة تشعره بأنك مهتم به، وأنك فهمتَه بشكل جيد، واستطعتَ أن تطمئنه إلى أنك لن تتقوَّل عليه، أو تفهمه بشكل مغلوط، وبالتالي تستطيع أن تُشعِره بأنك مُصغٍ له، بشكل جيد.

إننا -في كثير من الأحيان- لا نسمح للآخرين أن يتكلَّموا، وإذا تكلَّموا لم نستطع أن نفهم عنهم، ولا أنْ نُشْعِرهم بأننا فهمناهم.

المهارة الثانية: الدخول إلى عالم الآخرين، الذين نستمع إليهم، أو نتحدث معهم.

فحينما تنظر إلى اثنين يتكلمان في موضوع معين تستطيع أن تعرف إن كان هذا الكلام يُبنَى على علاقة متكلَّفة، أو على علاقة وِدِّية أخوية حميمة صادقة، بحسب القرب، والإنصات، ونظرات العيون، وحركات اليد، ولغة الجسد كما يُقال.

إن الأم تستطيع أن تقيم تواصلًا جيدًا مع ابنتها، حين تضع نفسها في مستواها وتتخاطب معها بلغة القلب والجسد، وتحسس ابنتها بالأمن والثقة، وتتجاوب مع مشاعرها وأحاسيسها وظروفها.

يمكن أن تُشَجَّع البنت على تجاوز الخجل، وأن تتعوَّد الصدق والصراحة، والبَوْح بما لديها، والتعبير عن أحاسيسها، إذا رأت الاهتمام بما تقول.

إن الكثيرين لا يريدون منا حلًّا لمشكلاتهم، بقدر ما يريدون القلب الذي يتوجَّع ويتأسَّى لهم، وكما قيل:

ولا بُدَّ مِنْ شَكوى إلى ذِي مَروءةٍ   يُواسِيكَ أو يُسْلِيك أو يتوجَّعُ

تخيَّل أنَّك تتكلم مع شخص.. فينظر في الساعة، أو يردُّ على الجوال، أو يتصفَّح جريدة، أو يسرح بفكره، ولو كان ملتفتًا إليك.

فالدخول إلى عالم الفتاة يقتضي النفاذ إلى روحها وقلبها ومشاعرها وأحاسيسها، وأن نُشعِرَها أننا معها ولسنا ضدها.

المهارة الثالثة: توجيه الحديث وإدارته صوب الوجهة المفيدة التي نريدها.

فقد لا تستطيع البنت أن تصرِّح بكل ما لديها، أو تفصح بما عندها، وقد ترتبك، أو تقع في خطأ، فلا نمسكها بهذا الخطأ، ونحاسبها عليه؛ بل نساعدها على التعبير عما تقول، ونُشعِرها بأن الوضع عفوي وعادي.

ويمكن أن تتحدث الأمُّ نفسُها عن تجربتها في الطفولة والصغر، وأني مررت بهذه المرحلة التي مررت بها، وحصل لي كيت وكيت...

قد تتحدث البنت عن معاناة، ولا تستطيع أن تقول كل شيء، ولذلك تزدريها الأم، أو تتهمها أنها لا تعرف كيف تتكلم، أو أنها غبيَّة، أو ساذجة، أو ما أشبه ذلك.

سمعت الكثير من البنات.. تقول إحداهن: لم أجد أحدًا يَفْهَمُني..!

ربما تقصد البنت أنه لا يوجد في أسرتها مَن يوافقها على ما تريده، هذا صحيح.

لكن الكثيرات يقصدن بهذا: أنها لم تجد مَن يستمع إليها باهتمام.



ادْخُل عَقْلِي



ادْخُل عَقْلِي

قمت بجولة واسعة في المواقع الإلكترونية، في فضاء الإنترنت؛ خصوصًا المواقع المتخصصة بقضايا الفتاة، والمرأة بشكل عام، واقتبست منها الكثير.

راجعت بريدي الإلكتروني، على مدى عشر سنوات، والذي وصل إليه شيء كثير من المشكلات، والقضايا، والهموم، والآلام.

استعنت بعدد من بناتي المتخصصات.

أفدت من بعض الاستطلاعات المتنوعة، ومنها: استطلاع للرأي أجريناه في فترة سابقة -قبل نحو عشر سنوات- وشمل أكثر من ستمائة بنت في المرحلة الثانوية، وكان في ضمنه سؤال عن: الهموم، والتطلعات، والآلام، والأمنيات..؟

كان هناك مِن البنات مَن ترغب أو تتطلَّع أن تكون في عمل يناسب طبيعتها؛ كالتدريس، أو العمل في أماكن منعزلة عن الرجال، أو في مجالات تخدم فيه مجتمعها؛ كالطب.

كانت هناك مَن تتمنى الزواج، وبناء بيت الزوجية.

واحدة كانت تقول: أتمنى أن أفتح عينيَّ على اثني عشر طفلًا؛ يملؤون بيتي صخبًا وضجيجًا، ويملؤون حياتي وقلبي أُنْسًا وسعادة.

هناك عدد محدود وقليل من البنات، تكلَّمن بشكل مختلف، بلغة مختلفة:

واحدة: كانت تتمنى أن تكون سكرتيرة.

أخرى: تتمنى أن تكون رجل أمن، أو مضيفة طيران، بل مغنية!

وثالثة: كانت تقول: إنها تتمنى أن تكون راقصة!!

نعم! قد يكون هذا الكلام نوعًا من الاستفزاز والعناد، ولا تكون البنت جادة فيما تقوله وتتطلع إليه.

لكن لا مانع أن تكون هذه تعبيرات حقيقية؛ بسبب تأثير الصحف والمجلات النسائية ووسائل الإعلام، التي تناقش مثل هذه الموضوعات، وتحاول أن تجعلها في بؤرة اهتمام الفتاة.

يجب أن يُسمَعَ مثلُ هذا الكلام؛ لأن الكثيرين يكتفون في معرفة الواقع بالقشور والمظاهر.

وإذا كان هذا الكلام قبل عشر سنوات، فمن المؤكد أن الوضع الآن مختلف.

في بيان مسحي أُجري في عُمَـان، كانت أبرز اهتمامات المراهقين والمراهقات تتعلق بـ:

* اللباس.
* والتزين.

❋ والموضة.

وكان هذا الاهتمام هو الهمُّ الأكبر لأكثر من ٨٠٪ مِـمَّن أُجري عليهم الاستطلاع.

وفي المرتبة الثانية: تأتي أشياء متعلقة بالترفيه كـ:

❋ الفن.

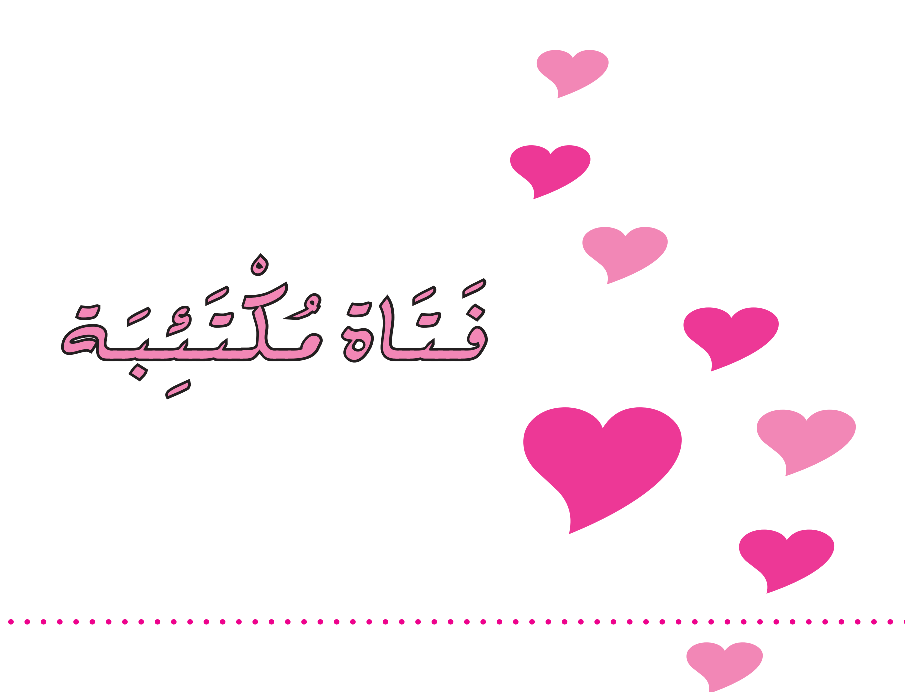
❋ والأفلام.

❋ والمسلسلات.

❋ وكذلك الاهتمام بالجنس الآخر.

ويمكن تعميم هذه النتيجة باعتبار عولمة الفضاء وزوال الحواجز بين الأمم والشعوب، وتداخل الاهتمامات والقيم.




فَتَاةٌ مُكْتَئِبَةٌ

فَتاة مُكْتَئِبَة

تؤكد الدراساتُ أن:

المرأة أكثر عُرضةً للحالات النفسية -وخاصة الاكتئاب- من الرجال.

وعمومًا فإن ٤٠٪ من البشر يصابون في فترات قصيرة من حياتهم بالاكتئاب.

أسباب الاكتئاب عند المرأة:

أولًا: الطلاق، وسيطرة الشعور بالفشل على المرأة، وأنها مرفوضة اجتماعيًّا.

مع أنه في الإمكان، أن تشعر المرأة -حتى لو كانت مطلَّقة- أن هذه تجربة ومدرسة، يمكن أن تخرج منها وهي أكثر معرفة، وخبرة، وثقافة، وثقة بالنفس، بل هي فرصة لها لأن تفكر من جديد، وتخطط للدخول مرة أخرى إلى عالم الزوجية، وهي مزودة بتجربة لا تنسى.

ثانيًا: سوء المعاملة في محيط الأسرة، أو الأهل، أو الزوج.

ثالثًا: ضعف القدرة على التكيف مع المتغيِّرات.

رابعًا: ضعف الإيمان بالقضاء والقدر؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله ﷻ؛ فيَرضَى ويُسَلِّم»[١].

ولهذا يقول النبي ﷺ: «**مَنْ رَضِيَ بِاللَّـهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**»[٢].

إذن! على الفتاة أن تكون راضية بالله ﷻ، مؤمنة بأن كل شيء بقضائه وقدره، وأن الله ﷻ حكيم عليم.

دَعِ المَقَادِيْرَ تَـجْرِي في أَعِنَّتِهَا ... وَلا تَبِيتَنَّ إِلَّا خَالِيَ البَالِ

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِها ... يُغَيِّرُ اللَّـهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

خامسًا: فترة المراهقة، وتحوُّلاتها الجسدية والنفسية.

سادسًا: الأخطاء والذنوب؛ فهي تكدِّر القلب، وتقلق النفس، ولا دواء لها كدواء القرآن: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وكما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُم**»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٧٦)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

عالجي إحساس الألم بجرعات الاستغفار المتواصل، حتى يهدأ شعور الحزن؛ لأن سيئاتك حينئذ سوف تُبَدَّل حسنات: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٧٠].

سابعًا: إن المرأة بطبيعتها، وما جُبِلت عليه من العاطفية، وما تتعرَّض له مِن الصدمات، أو المنافسة من زوجة أخرى مثلًا، فضلًا عن ظروف الحيض والحمل والولادة والنفاس، تجعلها أكثر تعرُّضًا للاكتئاب.

ولكنها في الوقت ذاته أكثر استعدادًا للتعامل والتفاعل مع السعادة؛ فلذلك فالنساء أكثر قدرة على الاستمتاع بالأشياء الجيدة.

ويحسن أن تملأ المرأة وقتها بالأعمال المفيدة، كـ:

* القراءة.
* والصلاة، والذكر.
* والمشاركة في مناشط علمية أو تربوية.
* وقيام الليل، والصيام.
* بل الأعمال المباحة؛ كالرسم.
* وممارسة الهوايات المفيدة النافعة.

اقرئي -بنيَّتي الحزينة- كتاب **(دَعِ القلقَ وابدأِ الحياةَ)**، وتعلَّمي كيف تصنعين من شراب الليمون عصيرًا حلوًا.

واتخذي كتاب **(لا تحزن)** للصديق الدكتور عائض القرني رفيقًا لك في السَّفَر.




أُمّي تَكْرَهُني

أُمِّي تَكْرَهُنِي

أمي دائماً تذكرني بأنني سمينة، ثم تتهمني بأنني حساسة وعصبية، مهما فعلْتُ، فإن أمي تجد عيبًا فيما أفعله.

بعثتُ لها برسالة حميمة عاطفية، أبثُّها حبِّي وأشواقي، وإذا بي أُفاجأ بأمي تقرأ الرسالة، وتصحح لي أخطائي اللغوية والإملائية.

إنها دائماً ما تلقبني بـ: الغبية.

وتعاملني كأنني مِلْكِيَّة خاصة لها، إنها لا تفهمني، ولا تحترم خصوصيَّاتي!

هذا الكلام يكاد أن يتحول إلى ظاهرة في مجتمعاتنا.

وأذكر لكَ ولكِ بعض النماذج:

أميرة (عمرها ١٨ سنة)..

تقول: أمي آخر إنسان يمكن أن يكون صديقًا لي، شدة حرصها عليَّ حوَّلها إلى عدو.

إنها تفهمني خطأ، وتقرِّر دائماً أنني لا أفهم ما ينفع ولا ما يضر، ولا تعطيني فرصة لتبادل الودِّ معها.

لميس (٢٠ سنة)...

تقول: أمي صديقة جدًّا، تسمع لي ولا تحاكمني، بل تقدم لي النصيحة، وصبرها لا ينفد، ولا تلقي إليَّ بأي كلمة جارحة.

وقعتُ في حب، فبحتُ به لأمي؛ فكانت توجِّهُني وتوعِّيني، ولا تُشعِرُني بأي شك نحوي، حتى تجاوزتُ المحنةَ بعافية وسلام، والحمد لله.

جميلة (١٧ سنة)...

تقول: أحب أمي فوق ما تتصور؛ فهي قريبة جدًّا مني، أستشيرها حتى في الفستان الذي ألبسه، مُتفهِّمة، لا تضغط عليَّ في كل شيء.

لكنها تقنِعُني بما لا يجب عليَّ فعله، ولا تجعلني أشعر بوصاية أو تسلُّط منها، مما يتيح لي قدرًا واسعًا من الحرية، مع التوجيه والوعي والانضباط.

وحين سُئلتْ هذه البنت عن صفات أمها؛ قالت: إنها هادئة لا ترتجل قراراتها حسب المزاج، مستمعة ممتازة لي، حتى حين أتحدث عن أمورٍ تافهةٍ، لم يحدث قط أنها سَخِرت منِّي.

نورة...

تقول: هناك أشياء لا يمكن نسيانها، فحين كنت صغيرة، تحدثت إلى إحدى المعلِّمات عبر الهاتف، ولأنني أحبها حبًّا شديدًا؛ فقد أصابني ارتباك في حديثي، وضاع مني الكلام..

فسخرت أمي، ووصفتني بالساذجة..

هناك خجلت، وفقدت الثقة بنفسي..

وظلت أمي على الدوام، تُشعِرُني بأسلوبها الهجومي، وبالتحقير لتصرُّفاتي؛ بأنني غير جديرة بالثقة.

الحاجز بيني وبينها مستمر.

أتمنى أن أجلس إلى أمي، وأتحدث إليها !!

لكنني كلما حاولت، أجدني أتراجع في اللحظات الأخيرة.

قد يكون ما نسمعه في هذه النماذج صحيحًا، أو يُداخِلُه شيء من العاطفة، عاطفة المراهقة.

فمع استيقاظ أحاسيس الأنوثة عند البنت، فإنها تبدأ في مزاحمة الأم؛ لنزع الاعتراف بها، وترسيم حدودها الجديدة.

وإلى أن تعثر على الرعاية اللائقة من إنسان تحبه، فإنها قد تدخل في أوهام كثيرة، وكأنها تبحث عن الشعور بالرضا، وأن هناك مَن يتقبلها من الجنس الآخر.

وأفضل حلٍّ هنا: هو بناء جسور الصداقة بينها وبين الأم، وترميم ما تآكل من هذه الجسور، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالهدوء والحكمة والسلاسة في معالجة الأمر.

هناك عدة توجيهات:

الأول: كلمات الحب والعاطفة من الأم للبنت.

إذا جاءت من المدرسة، أو من غيبة ما، أن تقول لها: افتقدتك اليوم... وبطبيعة الحال، فإن الغالب أن البنت، سوف تردُّ بالمثل، وسوف تقول: حتى أنا ولهت عليك.

ينبغي أن يعرف لسان الأم، وقاموسها كلمة: يا حبيبتي! يا غاليتي!

إننا لسنا فقط مموِّلين -لأولادنا وبناتنا- باحتياجاتهم المادية، بل ينبغي أن نكون مموِّلين لاحتياجاتهم العاطفية والمعنوية.

أَشْعِرِي البنت بأنك تحبينها كما هي، وليس كما تريدين أن تكون، وأنك تحبينها وبلا شروط .

الثاني: جلسات المكاشفة والمصارحة -ولا أقول: المصارخة- بين البنت والأم، ابحثي عن بنتك، ولا تتركيها هي تبحث عنك.

عوِّديها أن تدخلي غرفتها، وأن تجلسي معها، دون أن يكون ذلك مَثار شك، أو رغبة في التجسس عليها.

الثالث: الانتباه الجيد لأي عوامل طارئة في حياة البنت وسلوكها، وبرامجها.

الرابع: المشاركة معها في الاستماع، أو في المشاهدة الحلال، أو في المتعة الحلال، أو في خرجة محتشمة، أو أي نشاط آخر.

الخامس: افهَمي البنت جيدًا بمستواها، وصفاتها، ومراعاة ظروفها النفسية والاجتماعية.

السادس: تجنَّبي الشعور بالاستعلاء، ومخاطبة البنت من هذا المنطلَق:

* أنت مخطئة.
* أنت صغيرة.
* أنا أكثر فهماً منك.

وهذا الشعور والوعيد والتهديد والتخويف؛ يحطِّم البنت أكثر مما يبنيها.

السابع: اغرسي فيها القِيَم الإيمانية، والخوفَ من الله ﷻ، واغرسي فيها مكارم الأخلاق، وكوني قدوة حسنة لها.

ابنتي العزيزة: تذكري أن الجنة قريبة منك!

إنها تحت قدم هذه المخلوقة الطيبة التي إلى جوارك!

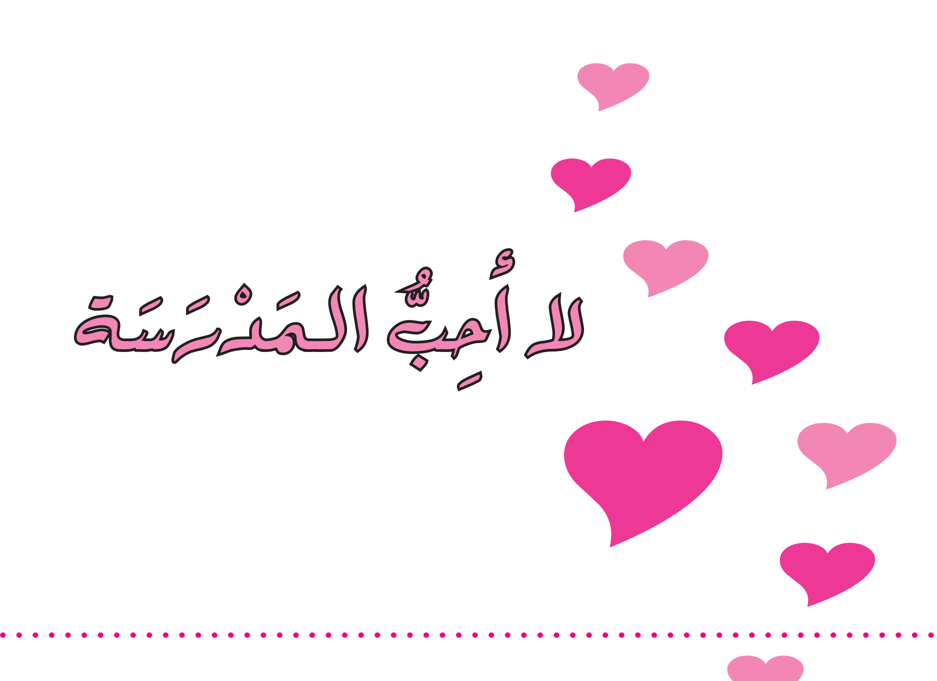
لا تنسي أنك كنت جنينًا في أحشائها يقتات من دمها، ويشاركها أنفاسها، على مدى مائتين وسبعين يومًا!

هو رقم ليس باليسير!

وطيلة سنوات طفولتك كانت ترعاك بكل معاني الرعاية، فالآن وقد كبرت وتعلَّمتِ وارتبطت بالصديقات.. يجدر بكِ أن تَذْكُريها بإجلال وإكبار، وتتغاضى عن بعض التصرفات التي قد لا يستوعبها عقلك، أو لا يتقبلها مزاجك ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].



لا أُحِبُّ المَدْرَسَةَ



لا أُحِبُّ المَدْرَسَة

إحداهن طرحت فكرة تقول: أقترح أن يكون يوم السبت إجازة، ويوم الأحد دراسة، ويوم الاثنين إجازة، ويوم الثلاثاء دراسة، والأربعاء إجازة، ويوم الخميس والجمعة هي إجازة بطبيعة الحال.

هل جلستِ يومًا من الأيام مع مجموعة في نقاش، أو واجهتِ سؤالًا محرجًا، أو حتى موقفًا، ووقفتِ مشدوهةً، وكنت -كما يقال في المثل- كالأطرش في الزَّفَّة، لا تعرفين جوابًا، ولا تدرين صوابًا؟!

كيف أصبح العلماء بهذه المكانة؟!

لأن الله ﷻ أراد بهم خيرًا؛ ففقَّهَهُم في الدين: «**مَنْ يُرِدِ اللَّـهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[١].

كيف بنى المهندسون البِنايات الفخمة ؟

كيف صنع العلماء الأجهزة؟

كيف وصلت الأمم إلى مكانتها الحضارية؟

هل هي بالسواليف والقصص؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

هل جاءتهم هِبةً بلا جهد ولا عمل ولا إصرار ؟!

يقِلُّ أن تجدي مهمومة حقًّا بالدراسة، وإذا ظفرتِ بها؛ فقد يكون ذلك من أجل الدَّرَجات، و من أجل الشهادة فحسب ...

تخيلي أجيالًا من البُلَهاء والأغبياء و(السُّولفجيَّة) كما يُقال.

ماذا سوف يشكِّلون لأمَّتهم؟

وماذا سوف يقدِّمون لمستقبلها؟

فَعَلِّمْ مَّا اسْتَطَعْتَ لَعلَّ جِيلًا   سَيَأْتِي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابَ

حتى الطالبة الـمُخفِقة؛ عليها أن تتعلم من الفشل.

إن الفشل مدرسة، يمُرُّ بها العظماء والمبدِعون والمشاهير.

بعدما أَجْرَى أديسون ألف تجربة فاشلة نجح، وقال: لن أقول: أجريت ألف تجربة فاشلة. بل لقد عرفت ألف طريق كلها لا تؤدي للهدف!

يجب ألا يُفقدَنا الفشلُ ثقتَنا بأنفسنا، وإحساسَنا بالقدرة على النهوض.

وألا نسمح لمشاعر اليأس والقنوط أن تتسلَّل إلى قلوبنا، وألا نَستسلِم لها بحال من الأحوال.

إن السهر المستديم قضاء مُبرَمٌ على فرص النجاح والتفوق؛ فلا بد من برنامج منضبط للحياة، ووقت محدد للنوم، وليكن النوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا، وبقدر من الوعي واليقظة.

إحدى الطالبات دخلت إلى المدرسة، والنوم يداعب أجفانها، بعد ليل طويل وسهر متواصل، وربما كان صوت المعلمة يُهدهِدُها ويهدُّها، ويدعوها إلى النوم، وجلست على كرسيِّها، وأَخلدت برأسها إلى الطاولة الخشبية أمامها، ونامت نومًا عميقًا.

قالت لها المدرسة: استيقظي! هذا ليس بمكان للنوم... !!

ردَّدتْ، وهي لا تزال في غفوتها، وتعتقد أنها في منزلها:

قالت لها: ماما، حرام عليك، خلِّيني أنام.

والتهرُّب من المدرسة، يبدو ظاهرة عامة.

صغيرة يحرمها أبوها من الذهاب إلى المدرسة، فتظلُّ تُطِلُّ من ثُقب الباب، تنظر إلى البنات، يلبسن المريول الأزرق، ويحملن الشُّنط، ويذهبن إلى المدارس، وأحلام الدراسة تداعب قلبها، وهي تتمنى هذا الشيء الذي حُرمت منه.

وكل ممنوع مرغوب.

وربَّما لو سُمح لهذه الفتاة، أو الصَّبِيَّة أن تدرس، ومرَّت عليها أيام الدراسة وواجبات المدرسة والعناء والروتين؛ لملَّت وتمنَّت أن يمنعَها أبوها من المدرسة مرة أخرى .

إحدى الطالبات اتصلت بالمسؤولة عن الحضور والغياب، وقالت لها: إنها مريضة لا تستطيع أن تحضر غدًا إلى المدرسة؛ فأذنت لها.

وذهبت مع بنات عمِّها إلى إحدى التجمعات، أو المخيمات، أو المهرجانات، والمعارض التي تقام.

وبالصدفة وجدت أن المسؤولة عن النشاط، وعن الحضور والغياب، والمديرة، والوكيلة، والموجِّهة، ومجموعة من المدرِّسات كانوا في زيارة جماعية خاصة لهذا المعرض؛ فهربت مِن بينهن، وهي تقول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] !

ولم تستطع أن تنظر إلى شيء من هذا المخيم!

فيما يتعلق بالدراسة هناك عدة نقاط:

أولًا: الغش:

والنبي ﷺ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعَام[١]، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيها فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فقال: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!**». قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ[٢]. قال: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»[٣].

فإن الطالبة تحصل على الشهادة بجهدها وجِدِّها وعرقها وكدِّها؛ فلا يجوز أن تكون هذه شهادة مزوَّرة، مبنية على غشٍّ، أو سرقة من جهود الأخريات.

ثانيًا: التخصص:

فإن على الطالبة -حتى في المرحلة الثانوية- أن تختار نوعَ التخصص

---

(١) الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام؛ سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض.

(٢) أي: أصابه المطر.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢).

الذي يتناسب مع طبيعتها وميلها ورغبتها، وألا يكون ذلك مجرد تقليد للأخريات.

ثالثًا: غِيبة المعلِّمات:

فإن كثيرًا من الطالبات -ربما- يقعن في الغِيبة، لسبب أو لغير سبب، ويتحدَّثنَ -مثلًا- عن شكل الـمُدرِّسة، أو عادتها، أو تحضيرها، أو أمور أخرى.

حتى إن إحدى الطالبات، جلست في مناسبة، وكانت تتكلم عن مُدرِّسة مادة الكيمياء، وتنال منها، وسط ضَحِكات من الحاضرات، وبعدما انتهت، تبيَّن لها أنها أخت إحداهن !!

رابعًا: تبادُل الخبرات الرديئة:

ففي كثير من المدارس، وفي غَيبةِ الرقيب؛ يكون بين الطالبات تبادل أرقام الهواتف، أو صور لفنانين أو لأشخاص، أو لبعض الخبرات الرديئة، فضلًا عن الأشرطة، والمجلات، والمواقع الإلكترونية.

ينبغي أن تكون الفتاةُ مفتاحًا للخير، مِغلاقًا للشر، آمرةً بالمعروف ناهيةً عن المنكر؛ فهذه صفة المؤمنين، وألا تكون متشبهة بالمنافقين: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ ﴾ [التوبة: ٦٧].



مُعْجَبَات



مُعْجَبَات

هناك ورود حمراء..!

ورسائل معطَّرة..!

هدايا..!

وقلوب..!

وكلمات..!

ورسومات..!

وملاحقات يومية..!

ونظرات علنية..!

ومسلسلات غَرام..!

وقصص تعبر عن مشاعر الحب والهيام لفتاة مع مَن تحبها...!!

فتاة في مُقتَبل العمر.. تحفر جلدَها بآلة حادة بأول حرف من حروف عشيقتها؛ لتؤكد على حبِّها!!

أخرى: تسيطر المحبوبة على تفكيرها وعقلها.. فهي مشغولة بها.. حتى في أقدس اللحظات؛ حينما تقول: الله أكبر، وتقف بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ!

ثالثة: تصف إعجابها بأنه بلا حدود..

وأنه في غياب هذه الـمُدَرِّسة، تكون الـمَدْرَسة كالبيت المهجور..!

هي أنيقة وجذابة.. حاولت إخبارها بشعوري تجاهها..! فصدَّتني ناصحة لي بالاهتمام بدراستي.. وهي بهذا زادتني تعلُّقًا بها، وانجذابًا نحوها!!

فتاتان يبدو عليهما الصلاح، وهذا طيِّب، بل جيد، بل رائع..

لكن تتحول الصداقة بينهما إلى حبٍّ جارف..!

ويبدو الحزن واضحًا على إحداهُنَّ..!

لماذا؟! لأن الأخرى تزوجت، حتى إنها تتمنى لها عدم التوفيق في الزواج؛ لئلا تبتعد عنها، أو تنشغِل بغيرها!!

إنها حالة تبدأ بالصداقة، وترتقي إلى الحبِّ والتعلق...

وتنتهي بالتوحُّدِ والأنانية، والشذوذ العاطفي، بل والجسدي !!

أما الأسباب:

فأولًا: الفراغُ العاطفي والعملي لدى الفتاة، وضعف التدريب لها على الحياة، وشِدَّةِ ضغط الأسرة، وحرمانها، وعدم تعليمها.

ثانيًا: ضعفُ الإيمان بالله ﷻ، وخلوُّ القلب من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، فإن حب الله ﷻ هو أرقى المشاعر.

ولهذا جاء في «الصحيحين»، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّـهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي**

الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّـهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[١].

فمحبة الله ﷻ هي التي بها يذوق العبد حلاوة الإيمان، ونعمة العيش، وهذا ما كان يدعو به النبي ﷺ.

البعض قد يعبِّر أو يظُنُّ أن هذا الإعجاب هو نوع من الأُخوَّة، أو المحبة في الله، وهذا من تزيين الشيطان وتلبيسه على الناس.

ثالثًا: وسائل الإعلام، وما تعرضه من إثارات وإيحاءات جنسية، وتطبيق للشذوذ بين البنات.

رابعًا: المبالغةُ في الزينة والتجميل؛ وكذلك إظهار المرأة - المُدرِّسة أو المربِّية أو الموجِّهة- لكثير من العواطف تجاه بعض البنات.

خامسًا: فقدانُ القدوة الحسنة؛ فالبنت قد تتعلق بمَن تعتقدها قدوة، أو مثلًا أعلى لها، وقد لا تفرِّق بين الرجل أو المرأة، ولكن إذا تجاوز ذلك مَرحلة العشرين من العمر، فالغالب أنها تتحوَّل إلى رغبة جسدية، وليس إلى عاطفة وِجْدانية.

سادسًا: تأخيرُ الزواج.

أما الحل، فهو في:

* الاستعلاء بهذه المشاعر، وتوجيهها الوجهة السليمة، حبًّا لله، وحبًّا في الله، وحبًّا للناس، ورغبة في إيصال الخير لهم.
* والالتجاء إلى الله ﷻ، والاستغراق في عبادته.
* وتوسيع دائرة العلاقات الاجتماعية الرشيدة.

---

(١) صحيح البخاري (١٦)، وصحيح مسلم (٤٣).

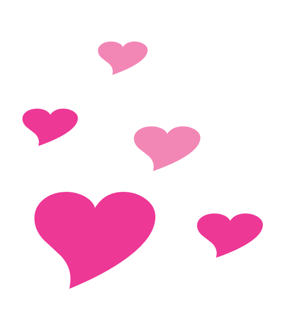
* والاهتمام القوي بالأعمال التي تستنزف الوقت والجهد، وتكون نافعة للإنسان في دينه أو دنياه.

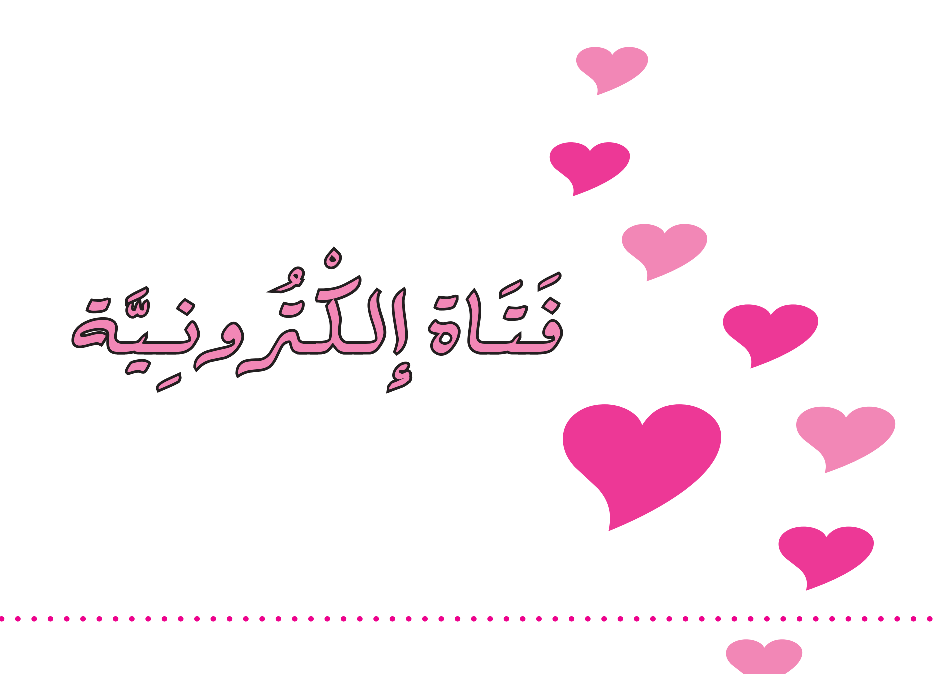
* الابتعاد عن الخطوات الأولى التي عادة ما تكون هي السبب للوقوع في الشراك.

* حاذري- بنيتي- الاستجابة للغيرة المفرطة، والرغبة في الاستفراد بالمعلمة، أو الصديقة، أو الاستسلام للمشاعر الشخصية الخفية التي تدركين أنها لا تخلو من (الشذوذ العاطفي).

* أَصِرِّي على أن تجعلي بينكِ وبين مَن تعلَّقتِ بها مسافة كافية، واقرأي كتبًا مثل: (الجواب الكافي)، أو (روضة المحبين) لابن القيم.






فَتَاة إِلكْتُرونِيَّة

فَتَاة إلكْتُرونِيَّة

الإنترنت عالم واسع غريب عجيب، وقد أَخذْتُ جولة واسعة على مواقعه، وخصوصًا ما يتعلق بالمرأة؛ فوجدت ما يلي:

أولًا: هناك عشرات المواقع العربية النسائية، منها قدر جيد يمتلك محافَظةً وروحًا إيمانية.

وبعضها ذو طابع شرعي إسلامي أو دعوي.

والكثير منها جادٌّ ومتميِّز، حتى إن بعض المواقع النسائية العادية لا تخلو من روح إيمانية وتذكير، ومعانٍ طيبة، وموضوعات جديدة مفيدة.

وهذا لا شكَّ إِثْرَ دخول بعض الفتيات الصالحات العاقلات في فضاء الإنترنت.

من هذه المواقع: موقع بنات، صبايا، بنات الخليج، ٤بنات، فتيات، لها أون لاين، نادي الفتيات، بنت net، المرأة، واحة المرأة... إلى غير ذلك من العناوين المختلفة.

وهناك مواقع لما يُسمَّى بـ(الدفاع عن حقوق المرأة)، المرأة العراقية،

المرأة الفلسطينية، المرأة اليمنية، المرأة المصرية، المرأة المغربية...

وغالب هذه المواقع تقف وراءها إما جِهات رسمية كوِزارات الثقافة والإعلام، أو بعضِ المؤسسات والجمعيات النسائية.

ثانيًا: يوجد في غالب المواقع مواد متكررة ومشتركة مثل: التعارف والصداقة بين البنات، الزواج، البطاقات، الموضة، الديكور، ملتقى الأطفال.

في كلِّ هذه المواقع وغيرها يوجد محادثات ودردشة، وحلول للمشكلات النفسية والاجتماعية، كما يوجد الأدب والشِّعر باللغة العربية واللَّهجة المحلية أيضًا، وهناك الفتاوى والتوجيهات والمقالات المفيدة.. هذه أشياءُ كثيرة مشتركة في غالب هذه المواقع.

ثالثًا: هناك مواد تتعلق بالفن والغزل والعلاقات المنفلتة والرقص والرياضة وعروض الجمال، وكثير مما هو موجود في الإنترنت هو صدى لما يوجد في القنوات الفضائية.

رابعًا: يغلب على هذه المواقع روح العاطفة الجياشة؛ فكلمات الحب والحنان والوَجْد والتعلق والهوى هي اللغة الرَّائِجة في الشعر والنثر والمحادثات وغيرها.

خامسًا: في تقرير لإحدى المجلَّات السُّعودية ذكرت أن ٥٨٪ من السعوديات يستخدمن الإنترنت، و٢٨٪ منهن متزوجات.

وفي تقديري أن هذه الإحصائية غير صحيحة، ربما يصدق هذا على مكان خاص، أو على عينة أُجري عليها الاستطلاع، وليس على صعيد

النساء السعوديات تمامًا.

سادسًا: هناك جرائم أخلاقية قاتلة على الإنترنت؛ المحادثة تبدأ بـالتعارف، ثم الإعجاب، ثم التواصُل وبناء العلاقات.

مركز في الإنترنت اسمه: (مركز الجريمة) يتكلم عن عربيَّات وخليجيات يعرضن أجسادهن مباشرة في برنامج البالتوك، ويقُمْنَ بحركات منافية للآداب والحشمة، من خلال الكاميرات الحية المفتوحة.

يقول أصحاب الموقع: لقد صُعِقْنا لما شاهدناه بأعيننا، وسمعناه بآذاننا، فتيات مراهقات في عمر الزهور يَعرِضْن أجسادهن على الشباب من أجل المتعة الحرام!!

سألوا واحدة: كيف لها أن تغلق الباب على نفسها، مثل هذه المدة الطويلة؟! فقالت: إن أهلي يثقون بي، ولا يمكن أن يتخيَّلوا أن أعملَ مثل هذا.

سابعًا: تشير إحصائيات إلى أن جلوس الفتاة على الإنترنت يتجاوز جلوس الشباب، نظرًا لطبيعة استقرار الفتاة، ولطبيعة الإنترنت الذي استطاع أن يكون البوابة الأوسع لاطلاع الفتاة على العالم الخارجي.

ثامنًا: نظرًا للسرعة الهائلة التي دخلت فيها الفتيات عالم الإنترنت استغل بعض المعنيين هذا التدفق لإنشاء مواقع خاصة للاستفادة من هذه الشريحة، وتوجيهها الوجهة التي يريد، وربما قام بعضهم باستغلالها حين يضعها مشرفة أو مسؤولة عن منتدى أو موقع.

لم يعد ممكنًا أن يقاطع الناس هذا المنتج المتميز بأهم ما يحتاجونه:

١- السرعة.

٢- التنوع.

٣- التفاعل.

بيد أن الأسرة مسؤولة عن سلوك أفرادها، فلماذا لا يتفقون جميعًا على أن تكون الأجهزة في الصالة، وليس في الغرف المغلقة؟

لماذا لا يشتركون في جولة في عالم الإنترنت، واقتباس فوائده؟ وزيارة لمواقع جادة، ورحلة إلى مشاهدات رشيدة في (اليوتيوب)، ومداخلات متميزة في المنتديات؟

لماذا لا تندمج الفتاة في عمل إيجابي، عوضًا عن الفراغ الذي هو من أخطر المؤثرات؟

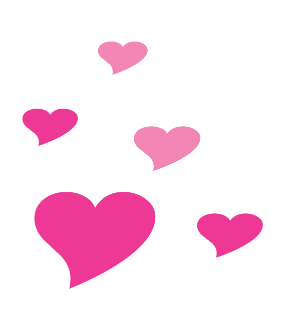
لقد هاجَ الفراغُ عليَّ شُغْلًا وأسبابُ البلاءِ مِنَ الفراغِ

أن تشارك في دورة، أو برنامج مسائي، أو عمل اجتماعي، أو حتى مشروع تجاري، أو تنضم إلى (نادي القراءة)، فالثقافة المقروءة أرسخ وأعمق وأبعد أثرًا في تكوين عقلية الفتاة؟

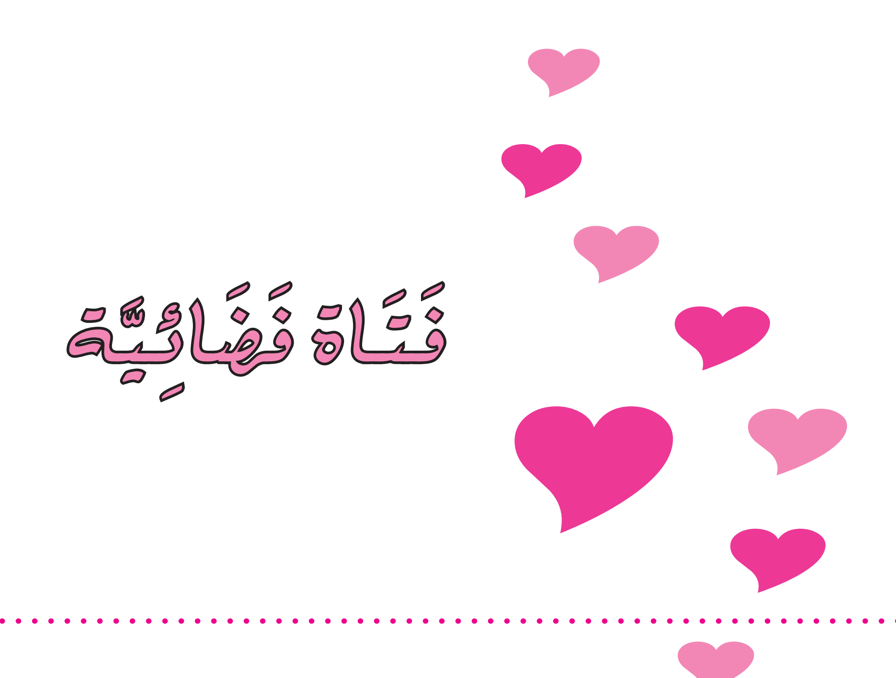
وللفتاة الراغبة في المزيد أن ترجع إلى مادة: (حكايات إلكترونية) مكتوبة أو مسموعة في موقعي الشخصي:

http: / /www.islamtoday.nel /radio /mediashow-108-795.htm





فَتَاة فَضَائِيَّة



فَتَاة فَضَائِيَّة

يحاول الإعلام في عصر العولمة ترويج الثقافة والقيم، وأنماط السلوك الأمريكي، باعتبارها هي الثقافة العالمية، ويمهِّد لِسَيطرةِ وسيادة النموذج الاستهلاكي الغربي، الذي يحوِّل المرأة إلى سِلعة، ويتاجر بجسدها، ويعتني بمواضع خاصة من جسمها؛ ليستثمرَها اقتصاديًّا، ويستثمرَها سياسيًّا.

تُقدِّم الفضائيات مذيعات، كلُّ رصيدهن مَسحة من الجمال، وربما جزء غير قليل من هذا الجمال، هو بسبب مستحضرات التجميل، وبسبب العمليات الجراحية، وارتداء الملابس القصيرة، والدَّلال، والتغنج[1] في الكلام، والضحك بلا أسباب وبلا حساب!!!

ليتم بعد ذلك فرض هؤلاء المذيعات كقدوة لبناتنا، وهن لا يملِكْن أيَّ موهبة سوى أجسادهن، وربما لو تمَّ تفكيك الأجسام الخارجية المركبة، لم يبق لهذه الفتاة ما يميزها عن غيرها .

وهناك ما يسمى بـ: **فتيات الإعلان** ....

---

(١) أي: التدلل.

٧٦٪ من إعلانات التلفاز تستخدم المرأة.

و٨٤٪ من الإعلانات -حسب الدكتورة (عزة الكعكي)- تركز على أجزاء معينة، وخاصة من جسد المرأة، وعلى الحركات والكلمات بشكل يخاطب الغرائز، وكذلك مُمارسة الرقص، وارتداء الملابس المثيرة، وتعاطي الكلمات المثيرة، وحركات العين، واللِّسان، والشفتين...

وكان للإعلان تأثيرٌ سلبي جدًّا على الفتيات، حيث أشارت دراسة على عينة من خمسمائة فتاة، في إحدى الدول الإسلامية الكبيرة، ممن يشاهدن القنوات الفضائية بانتظام إلى الإصابة بأمراض في الجهاز التناسلي للفتاة، وحدوث تطورات كبيرة جدًّا على السلوك والأخلاق، حيث انحصر التفكير معظم الوقت في الجنس، واجتاحهن مرض جديد اسمه: (دش سندروم)؛ هذا المرض -الذي أصبح معترفًا به من قبل الجمعيات الطبية العالمية، وتم تسجيله في بعض كتب الطب- يؤدي إلى تغيُّر عادات وسلوكيات المصابين، وزعزعة قيمهم الأخلاقية.

وهناك فتيات التَّرويج، وعارضات الأزياء، حيث يوجد في (دُبي) وحدها أكثر من ١٥ شركة؛ هذه الشركات مهمتها فقط: إدارة أعمال عارضات الأزياء، اللاتي يقرب عددهن من ثلاثة آلاف، والمتزوجات مِن هؤلاء لا يزدن عن ١٪، وباعتراف العاملين في المجال نفسه؛ فإن قلَّة المتزوجات يعود إلى السُّمعة السيئة لهذه المهنة، وأن بعض العاملات تكون فتاة إعلان بالنهار، وفتاة ليل بقية وقتها.

وفي القنوات الفضائية -في البرامج الغنائية المصوَّرة- يجوبون

العالم، بحثًا عن صبايا، بمواصفات مُعيَّنة، ثم إخضاعهن للتدريب؛ لجذب أكبر عدد من المشاهدين.

وهذه صورة أَحَطُّ مما كانت عليه المرأة في سوق النِّخاسة (سوق الرقِّ)؛ حيث كانت تُباع وتُشترى.

لأنها في سوق النِّخاسة كانت سلعة بذاتها، بينما هي اليوم أقل من سلعة، إنها فقط وسيلة لترويج السلع الأخرى!

إنها وسيلة لترويج الأغنية، وزيادة مبيعات هذا الشريط، أو لترويج هذه القناة الفضائية وتوسيع دائرة مشاهديها، أو لتوسيع دائرة ونشر سلعة معينة، وكثرة مَن يشتريها مِن خلال الإعلام.

عشرون أو ثلاثون فتاة في دوران شَهوانِيٍّ حول الـمُغَنِّي..

ماذا يعني هذا؟

أليس تحقيرًا للمرأة، ورجوعًا بها إلى عصر الجاهلية، والبحث عن الرجل، والبحث عن الشهوة كما في حكايات (ألف ليلة وليلة)؟!!

أليس تسترًّا على تخلُّف الفنِّ، وضعف الأداء، وهُزال المضمون، بل ورداءة الصوت؟!!

أليس تدميرًا لقيم الأمة، وتخديرًا لها، وإلهاءً عن قضاياها المصيرية، وعن قضايا البناء والتنمية، والحاضر والمستقبل؟!!

أليس تخديرًا وإبعادًا لنا عن واقعنا؟!!

إنه يصوِّر امرأة، قد لا يملك الشاب الحصول عليها، ولا حتى في الأحلام، ويتجاهل الواقع، وظروف الفقر والعوز والحاجة، وظروف

الشباب وإمكاناتهم في الحصول على منزل، أو عمل، أو زوجة.

كما أنه يتجاهل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، التي تعيشُها المجتمعات العربية.

ربما تكون الفتاة أو الفتى في حَيٍّ شَعبِيٍّ عَشوائي، أو في بيت من الصَّفِيح، وهو يشاهد هذه المناظر، ويتلقَّى منها الكثير، وتؤثِّر في عقله وفَهمه، وسُلوكه وقِيَمه.

في الوقت الذي تَحمِلُ فيه وسائلُ الإعلام على تعدُّد الزوجات؛ فإنها تعرض هذا الكمِّ الهائل من المراهِقات، وهن يَدُرْن في فلك المغَنِّي، ويتعرَّضن له، ويغازِلْنَه.

ولأيِّ إنسان الحقُّ أن يتخيل، إذا كان هذا ما يراه ويشاهده؛ فماذا يجري وراء الكواليس؟!

وفي الوقت الذي تُحارَبُ فيه قَوامةُ الرجل على المرأة، المُحْكَمة بكتاب الله ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، نرى ترسيخ هيمنة ذكورية سُلطوية واضحة، وتفوُّقًا رجوليًّا، واختصارًا للمرأة في جسدها، وفي إغراء الرجل وإثارته وتحريك عاطفته الجنسية الشَّهوانية.

إنها لا تتعامل مع المرأة حقيقة، ولكن مع فئة خاصة من الفتيات.

إن الفضائيات تتعامل مع أخطرِ شَريحة في مُجتمعنا:

* مع المراهقين والمراهقات .
* والفِتْيان والشباب والفَتَيات.

إن هؤلاء يشكِّلون ٧٠٪ من المجتمع السُّعودي ورقمًا شبيهًا في معظم المجتمعات العربية، ولديهم قابلية قوية جدًّا للتشكُّل والاقتباس والتقليد، وهم يرسمون مستقبلَهم من خلال ما يرون ويشاهدون.

وهؤلاء يقدِّمون لهم النَّموذَج والقدوة.

والأثر يبدو جليًّا من خلال الأنماط السُّلوكية التي يَعمَلونها، والعلاقات المحرَّمة، بل وحالات الـهُروب من المنزل -التي تحدثت عنها تقارير في الشام ومصر والمغرب- مُخيفةٌ جدًّا ومُحزِنةٌ جدًّا.

عدد كبير من الفتيات يَهْرُبْن من المنازل، فضلًا عما يمكن أن نعبر عنه بـ: (الهروب المعنوي)، بالانفصال عن الأهل والاستقلال بالنفس، وبالعلاقات والأفكار، والخطط المستقبلية.

أرأيت هذا الشريط أو (الشات الفضائي) المدفوع الثمن، المعبر عن الاهتمامات الرخيصة، المشحون برسائل الغزل المكشوف، والفضائحية المؤذية، والمواعدات الصريحة، وجهاز التحكم والسيطرة في القناة لا يحرك ساكنًا، إنها الحرية! حرية سلب البسطاء ما تبقى من أموالهم!

مَن المسؤول عن هذا؟!

أولًا: الإعلام والقائمون عليه:

فهم مباشرون، وكذلك شركات الإنتاج، ولكن مَن تخاطب؟!

لَقَدْ أَسْمَعْت لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِـمَنْ تُنَادِي

وَلَوْ نَارًا نَفَخْت بِهَا أَضَاءَتْ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

ثانيًا: السياسة:

التي قد تستبيح مُحرَّمات الشريعة، ومحرَّمات المجتمع، ولكنَّها تحافظ على المحرَّمات السياسية.

وربَّما تقع في دعم هذه القنوات؛ ماديًّا وإعلاميًّا وإعلانيًّا ومعنويًّا.

ثالثًا: الجمهور:

الذي يتجاوب مع هذه القنوات، ويبحث عن اللذة والمتعة العابرة، بل ويوجد من الأثرياء والكبار مَن يعلنون ويدعمون هذه الوسائل.

رابعًا: المرأة:

التي تسترخِص جسدَها وتبذُلُه، وتَعمى عن الآثار السلبية على نفسها وعلى مستقبلها: أُمًّا وزوجة وصغيرة ومُسنَّة، وأيضًا الآثار السلبيَّة على بنات جِنْسِها.

خامسًا: الأثرياء والمهنيون الخيرون الذين تقاعسوا عن إيجاد البدائل الهادفة، وكسر احتكار الفضاء لهذه النوعية الفارغة من القنوات.







أُرِيدُ عَمَلًا

أُرِيْدُ عَمَلًا

الوظيفة مصدر دخل من غير شكٍّ، وفي الوقت ذاته فإنها فرصة لإثبات الإنسان لذاته، وتحقيق الشعور بأهميته.

لقد أثبتت الإحصائيات:

* أن ٧٥٪ من فقراء العالم من النساء.
* لكن في دول غنيةٍ كالسُّعودية والكويت وعمان، فإن ٨٤٪ من العاملات يوجد لديهن في المنزل خادمات.
* وأيضًا ٣٠٪ من الدخل الذي تحصل عليه المرأة يتم إنفاقه في أدوات الجمال، ومستحضرات الزينة.

العمل بقدر ما يعزِّزُ من مكانة المرأة، إلا أنه يؤثر على نفسيتها؛ خصوصًا إذا كان عملًا مختلطًا بالرجال.

وفي دراسة حديثة أُجريت على ثلاثين من (سيدات الأعمال) في الإمارات؛ أعمارهن بين ٣٥- ٤٧ سنة، تبيَّن ما يلي:

أولًا: (٤١٪) من العاملات يَأْخُذْنَ علاجًا ضد الاكتئاب.

ثانيًا: (٥٦٪) منهن يُعَالَـجْنَ لدى طبيب نفسي.

ثالثًا: (٣٨٪) يفكرن بالاستقالة من هذا العمل، والعودة إلى المنزل.

إن العمل للحاجة، وفي جوٍّ محتشم، لا غبار عليه.

ونحن نجد في سيرة النبي ﷺ وهديه، وسيرة أصحابه الكرام كثيرًا من ألوان الأعمال، التي كانت تقوم بها المرأة، كالتجارة، أو العمل في الـحَقْل، أو ما أشبه ذلك من الأعمال النافعة المفيدة، في جوٍّ مُـحْتشم بعيد عن التبرج والاختلاط.

أما العملُ لمجرد الخروج، أو للحصول على المال، ثم تضييعه؛ فهو تقليد ومحاكاة للمجتمعات الغربية التي بدأت تُدرِك مَخاطرَ هذا العمل.

في فرنسا أَجْرت مجلَّةُ (ماري كير) استفتاءً للفتيات الفرنسيات، من جميع الأعمار، والمستويات الاجتماعية والثقافية.

وكان عنوان هذا الاستطلاع: (وداعًا عصر الحرية، وأهلًا بعصر الحريم)، وشمل أكثر من (٥ , ٢ مليون) من الفتيات.

قال (٩٠٪) من هؤلاء البنات:

* نحن نُفضِّل البقاءَ في المنزل، وعدم الخروج للعمل.
* قد مَلَلْنا من المساواة مع الرجل.
* ومَلَلْنا حياةً يسيطر عليها التوتر ليل نهار، والاستيقاظ عند الفجر؛ للجَرْيِ وراء المترو.
* ومَلَلْنا حياة الزوجية التي لا نُشاهِد فيها أزواجنا إلا عند النَّوم.

جاءتني رسالة عنوانها: (**بناتنا متسوِّلات، حقيقة أم خيال؟!**).

تقول الرسالة:

شعار بعض الفتيات: طلع لي بطاقة (سوا).. نطلع سوا.

البنت المحرومة تنتقل عشوائيًا عبر الهاتف أو النت، حتى تصل إلى الشخص المناسب، الذي يلبِّي تطلُّعاتها ومطالبها.

ويسألها الأهل: من أين هذا؟!

هذا من صاحبتي عهود.. هذا من المدرسة.. يا ماما! كل الناس يحبونني!!

- الحمد لله، إذًا وفَّروا علينا!

في البداية:

تحب تكلِّمني.. وفِّر لي جوَّالا!

تحب أكلمك. . وفِّر لي شريحة!

لون البلوزة عاجبني مرَّه.. والحر تكفيه الإشارة!

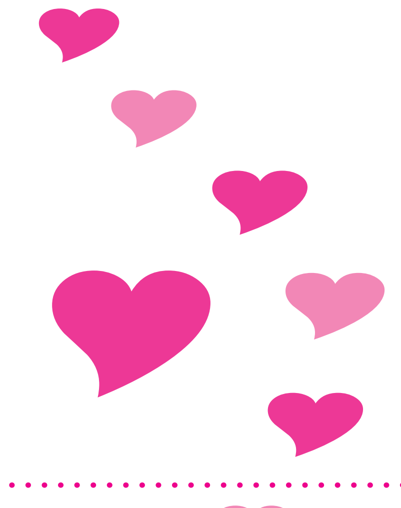
وفي النهاية:

ندم، وألم، وتحطيم... تقع في شراك مجموعات من الشباب، ويدفعها بعضُهم إلى بعض.. تتعرَّض للاغتصاب والابتزاز الجنسي، والشهرة السَّيئة.. تُستخدم لأيَّةِ وسيلةٍ أخرى؛ كالترويج والجريمة والمخدِّرات.. ويصبح هذا مرضًا وإدمانًا، يصعب عليها تركه!



النَّاجِحَات





النَّاجِحات

خَصَّصْتُ يومًا حَلْقةً في برنامج إعلامي لهموم الفتيات، وجاءني سَيْل من المشاركات والمشكلات والأحلام والطُّموحات، فكان هذا سرًّا من أسرار الإحساس بالفَرَح والنَّجاح، وكانت مناسبةً استثنائيَّة سمحت للعديد من بناتي بالتعبير الهادئ والصريح عن معاناتهنَّ.

وكانت تلك التفاعلات أُنمُوذجًا حيًّا يدل على رُقِيِّ هذه الشريحة الرائعة في مجتمعنا.

أفكار جميلة.. وآراء ناضِجَة.. وحلول مقنعة، وشَكاوَى مشروعة، وتفهُّم محمود، ولغة رفيعة، وعاطفة جَيَّاشة.. ورؤية سديدة.. فهنيئًا لمجتمعات المسلمين بمثل هذه النفوس الصافية التي تضبِط التوازن، وتصنع المستقبل، وتستبطِنُ الماضي وتلتزِمُ الشريعة، وتفهَمُ المتغيرات.

وبقدر ما أثقلَتْ كاهِلي وأحزنتْنِي الآلام والمواجع التي كشف البَوْحُ الصريح جزءًا يسيرًا منها، وأَبان عن حجم المأساة وامتدادها، إلَّا أن هذه الرُّوح الإيجابية ستظلُّ هي العلاج الأفضل.

ولبعض الأخوات العُتْبى على ما سمَّيتُه: «عقدة الفتاة اللبنانية»،

فقد هاتفتني بعض الأخوات من لبنان ليقلن: لا تفهموا أن فتيات الشاشة والمسرح هن الخط الوحيد. .. فكم في الأسر العريقة والمدارس والمؤسسات والمجتمعات من الفتيات المؤمنات الصالحات العفيفات!

وأخريات من الخليج والسعودية يرفضن وجود هذه العقدة... وأن الجمال ليس له بلد...!

وأقول: إن وجد شيء من ذلك؛ فهو بسبب بعض الشباب الذين عوَّدوا عيونهم على التنقُّل والانتقاء... وغفلوا عن أن قيمة المرأة في حفظها وصونها، وليس في كونها معروضة للأنظار، والحلوى المكشوفة قد تعجب الناظرين وليس الآكلين، والجمال المستور بالحشمة والحياء والصون هو الأرقى، وإن كان محروسًا عن العيون النهمة، والأبصار الزائغة، والنظرات المتذوقة.

لقد بات مجتمعُنا الإسلاميُّ والعربيُّ (والخليجي على وجه الخصوص) بأمسِّ الحاجة إلى فتح قنوات للمصارحة والبَّوْح و(الفضفضة) التي ستحدِّد ملامح المشكلة، وتهدِّئ من اندفاع ضحاياها، وتضع أيدينا على موضع الـجُرْح، وتساعِدُنا على استخراج الدواء.

والمرأة هي إحدى نقاط الضَّعف في مجتمعنا التي يُراهِنُ عليها العدوُّ الخارجي، وذلك في غَيْبة الوعي والاهتمام، والشُّعور الصادق بعمق المشكلة.

ليس شرطًا أن يواجِهَ المرءُ الألـمَ حتى يشعُرَ بمرارته؛ فالعاقل

المنصِف يجعل نفسه في مقام المتألِّـم، وهذا ما تقتضيه أخلاق الشرع.

وقد قال عمَّـارٌ رضي الله عنه: «ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: **«فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»**(٢).

فمتى نحصِّن مجتمعنا بالعدل والإنصاف ضدَّ قُوَى البغي الخارجية؟

ومتى نقطع الطريق بالرُّؤية الشرعية الواقعية ضد قُوَى التغريب الداخلية؟

إنه ليس صعبًا أن تُفتح آفاق الحوار الذي يسمح للفتاة بأن تتحدث عن آلامها وآمالها وتطلُّعاتها. .. ويسمح للأخريات، وللآخرين أن يشاركوها بافتراض الحلول ومحاولتها، أو على الأقل بتقديم المواساة الصادقة عبر الكلمات الرقيقة والدَّعوات الحارة والمشاركة العاطفية.

وليس صعبًا أن تتوفر المواقع الإلكترونية والبرامج الفضائية والدروس المتخصصة والمحاضرات لمعالجة قضايا المرأة، بنتًا وأختًا وزوجة وأمًّا، ومعلمة وموظفة، وإنسانًا قبل ذلك كله، بدلًا من أن

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام، ووصله ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩).

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٤).

يكون هذا المعنى حَكْرًا على الأخصائية النفسيَّة، أو حتى على قارئات الكفِّ والبُرْجِ!

وليس صعبًا أن يفرحَ مجتمعُنا بالمؤسسات والبرامج العملية والقنوات المتنوِّعة التي تحتوي الفتاة، وتحفظ وقتَها وتحفِّز طاقاتها، وتكشف مواهبها وتمنحها الجوَّ النظيف الحرَّ لبناء التعارف والصداقة مع مثيلاتها وممارسة هواياتها.

ولقد أثبتت التجارب أن الفراغ هو العدوُّ الأكبر للاستقامة، والسبب الأول لكل جنوح أو انحراف، خاصة وأن المواقع الإباحية والقنوات «الدَّاشِرة» لا فراغ لديها، فهي تبثُّ أربعًا وعشرين ساعة يوميًّا.

وهي تحاول أن تروي الظمأ العاطفيَّ لدى فتيات، لا يسمعن كلمة الحب، ولا يشعرن بحرارة العاطفة، سواء كن في بيت الأُبوَّة أو مخدع الزوجيَّة.

إن الهِمَم العالية تتحقَّق وتجد ذاتها من خلال الأعمال والمشاركات الصغيرة، فأنشطتُنا التفصيلية اليومية المتواضعة هي المعيار لتفوقنا ونجاحنا، وتوفُّر الإرادةِ الفاعلةِ لدينا.

والطريق إلى الطموحات الكبيرة يمر بهذه التشعُّبات، ويتخلَّل هذه الأزقَّة الضيقة، ويتعامل مع الأحداث الفردية، فتكوين النَّموذج الإسلامي الأخلاقي في التعامل مع الآخرين، أو في أداء الأعمال العاديَّة الحياتيَّة، أو في تكوين الأسرة وبنائها، أو في إسعاد قرين الحياة، أو في رعاية نَشْءِ الأمة...

وتقديم المشاركة المتميزة متمثلة في مقال مبدع، أو قصيدة مؤثرة، أو خاطرةٍ آسِرة، أو تجاوب نبيل...

واستثمار تِقْنية العصر التي تبرَّجت وتفنَّنت في طرق المخاطبة والتأثير، ووهبت نفسها طوعا واختيارًا لِدُعاةِ الفتنة وتجار الغرائز...

كل هذه تحدِّيات مباشرة أمام الفتاة التي تحمل الروح الوثَّابة، والتوقُّد والإصرار.

والتَّحدي هنا يتمثل في قدرتنا على التعامل مع الأشياء الصغيرة بالحماس ذاته، واعتبار أن نجاحنا فيها يمهِّد للنجاح الأكبر على مستوى الأمة.

إنَّ كلمةً واحدةً تتناقلها الرُّواة لَتبني جيلا من الناجحين.. ولو بعد حين، وإن لفتةً لطفل صغير في الأحضان لَتُحدِث له هزَّة يجد صداها مَن حوله، وقديما قيل: إن الأم التي تهزُّ المهد بيمينها، تهزُّ العالم بشمالها.

وإن لحظات من الإسعاد للنفس وللآخر بعفويتها وفطرتها لَتُعْطي وقودًا للدرب لا ينضَب.

الكثيرون يملكون آمالًا عريضة، وطموحات عالية، لكنهم يخفقون في تحويلها إلى مَـجْراها الحيوِيِّ المباشر، فتنعكِسُ على حياتهم يأسًا وإحباطًا وعُزوفًا عن العطاء.

إن الواقع المرَّ يجب أن يحدونا إلى السعي الجادِّ في الإصلاح، والمحاولة الدؤوب لِأنْ نغرسَ أشجارَ الأمل في صحراء الحياة، وأن نسقِيَها من صبرنا ودموعنا حتى تُورِقَ وتخضرَّ، ليستظلَّ بها مَن آذاهم الهجير، وغيَّرت سَحَناتهم حُرقةُ الشمس.

لنقدم التحية لكل ناجحة في طب، تمكنت من الحصول فيه على أعلى الشهادات من أرقى الجامعات.

ولكل حاصلة على شهادة عليا في تخصصها، رغم معاناتها وعدم وجود البيئة المشجعة لها.

ولتلك المرأة البسيطة التي فقدت زوجها، ورعت أطفالها، وأنهكت جسدها بالعمل المضني لئلا تشعرهم بالعوز أو الحاجة.

ولتلك الفتاة الطموحة التي أنشأت (مقهى) للمعرفة والقراءة والتعارف والحوار الرشيد.

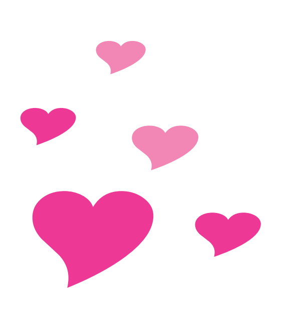
ولتلك الأم التي ضحت بتفانٍ ونكران للذات ليصل ابنها إلى أرقى المناصب، أو يحصل على اسم (رجل الأعمال المعروف) بجدارة.

ولتلك الزوجة التي كانت عظيمة تقف وراء زوجها (العظيم) وإن لم يردد الناس اسمها على ألسنتهم.

لنقدِّم تحيةً أطولَ وأصدقَ لذواتِ الاحتياجات الخاصة من بناتنا، حين تغلَّبنَ على المعاناة والعجز، ورفضْنَ الاستسلام للإعاقة، وجَعلْنَ من أنفُسِهنَّ مثلًا وقدوةً في الإنجاز والعمل والإبداع والمحاولة، ولم يَعبأْنَ بالنظرات المشفقة، والإيحاءات المستخِفَّة، والكلمات الشامتة، هذه الروح الوثابة (يا بناتي) هي منحة الله العظيم لكُنَّ لتجاوز الصعاب، وتَخَطِّي العقبات.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].






إلى ابنتي نجلاء

إلى ابْنَتِي نَجلاء

سألتني ابنتي نجلاء -الحائرة- أسئلةً ذات شجون عن الدين الإسلامي، وعن جملةٍ مِن أتباعه، وعن بعض مَن تصفهم بالواقفين في طريق الإبداع، وعن آخرين أخذوا موقفًا سلبيًّا مِن الدين ذاته وعادَوه، وعادَوا كلَّ أشكال التديُّن، وجعلوا الدين والـخُرافة شيئًا واحدًا -معاذ الله-، ورأوا أنهما حاجبان عن العمل والانتهاض، وحدَّثتني عن الذَّات وعلاقتها بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فكان مما قلته لها:

أوافِقك أن البعض حوَّلوا الدين إلى تقليدٍ تاريخيٍّ أو اجتماعيٍّ يُصادِر العقل والحرية، ويقتل الإبداع، لكن حلمنا الحقيقي هو في إعادة الدين إلى ذاته، واقتباسه مِن مصادره، ورفض الإضافات البشرية التي طالما سوَّدت صفحته وكدَّرت نقاءه.

الدِّينُ عِصْمةٌ مِن التِّيه والضياع الحتمي للإنسان حين يقطع صلتَه بالله العظيم، ويكتفي بذاته، وحوله التحديات والصعاب وجيوش الهموم والغموم ومصادر القلق.

الدِّينُ سَلْوَى النَّفْسِ في آلامِها   وطَبيبُها مِنْ أَدْمُعٍ وَجِراحِ

مناجاة الله ولو لثوانٍ تمنحني طاقةً هائلة لا تُقدَّر بثمن، أجدها حين أحتاجها في المصائب والـمُلِمَّات، وفي مدارج الحياة العادية، وأجدها حين تُواتِيني فرصةٌ للسَّعادة والهناء فيهجم وَحشٌ كاسر مِن الخوف أو الذكرى؛ لينغِّصَ عليَّ سعادتي، فأجدُ ربي يمنحُني الحماية والرضا والعطف، ويمنحني الفرصة بعد الفرصة؛ حتى أكون سعيدًا.

الإيمان الحق باللَّـهِ يحفظ لي توازني حين تضطرب الموازين، فمعرفتي به تجعلني أكشف الزَّيْف الذي يُمارَس باسم الله، ولأني أعرف أن الله جميل يحب الجمال، ويبغض الظلم والإجْحَاف والتعصُّبَ والهوى، وأنه رفيق يحب الرِّفق في الأمر كله، ويعطِي على الرِّفق ما لا يعطِي على العنف، وما لا يُعطِي على سواه.

فالعنف الذي يُمارَس باسمه سواءً كان أسريًّا أو اجتماعيًّا أو سياسيًّا أو دينيًّا هو عدوانية شخصانية تتترَّس بالتدين، والدين رحمة وسماحة.

عرفت الله الذي أُصلِّي بين يديه وأسجد له، وأدري أنه يراني هنا، كما يراني حين أهمُّ بمخالفته، وهو يمهِلُني المرَّة بعد المرَّة، ويمدُّ لي في العافية، وأتوسَّل إليه أن يكون وراء ذلك مغفرة وعفو، ففضله لا يُحَدُّ:

توضَّأَ القلبُ مِن ظنِّي بأنك غفَّارٌ..
وصلَّى، وكانت قِبلَتي الأملُ..
دع الهوَى لِذَويهِ يَهْلَكُوا شَغفًا..
أو فاَقتلِ النَّفسَ فيه مِثْل مَن قتلوا..

الكون على مساحته واتِّساعه أضيق مِن سَمِّ الخياط إذا خلت الحياة مِن نسمة الإيمان بالله، وأين يذهب المرء مِن ربِّه وكل ذرة في كِيانه تصيح هاتفةً باسم خالقها ومبدِعِها العظيم؟!

وكيف يفرُّ المرءُ عنه بذنبِه إذا كان تُطْوَى في يديه المراحلُ؟!

أعرف حقًّا أن الظروف المحبطة المحيطة، والنماذج السيئة تصدُّ عن سبيل الله، وأن الفَهم المؤدلَج ضَيَّقَ سَعةَ الدين، وغيَّب المفهوم الإنساني للحياة وللدين معًا، أو كاد، فليكن قدرنا أن نجاهد؛ لتجلية المعنى الجميل للرسالة، وتحقيق النموذج الراقي لها في عالم الإنسان.

والإيمان الحقيقي بالله دافع للعمل والقوَّة، ومحرِّك رئيس للانتفاض والانتهاض، وهذا مادَّةٌ أساسية للحثِّ على الاجتهاد والعمل والإحسان والعدل، ونشرها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]. وقد جربت الحياة بعض التجريب، وصار مثلي كمثل عبد العزيز بن زرارة الكلابي إذ يقول:

قد عِشتُ في الدَّهر أطوارًا على طُرُق
شتَّى فصادفتُ منهُ اللِّينَ والفَظَعا
لا يملأُ الأمـرُ صَدري قَبْـلَ موقِعـه
ولا يضيــقُ بِــه ذَرْعِي إذا وَقَعـا

كُـلَّا لبِستُ فـلا النَّعمـاءُ تُبطِرُني
ولا تخشَّعـتُ مِــن لَأوائها جَزَعَـا
ما سُـدَّ لي مطلعٌ ضَـاقَتْ ثنيَّتُـه
إلا وَجَـــدْتُ وراء الضِّيقِ مُتَّسَـعا

الإيمان بالله طريق سهلٌ سمحٌ واسع لكل سالك، وربما صعَّبه أَوْ حَالَ دونه مَن يظن بأنه يَهدِي إليه، ويَدُلُّ عليه!

والمرء قد يفكِّر في قضية ما وهو مكروب محروب، فيخلُص فيها إلى رأي يتيقَّنه بعقله وقلبه، فإذا تغيَّرت حاله، وانفسح أمره، وجاءته البشرى، وفُتحت الدنيا، فنظر في الأمر ذاته فاستغرب ما كان يظنُّه يقينًا وعزف عنه، ومال إلى غيره بقلبه وعقله، فالفكر والرأي ليس بمَعزِلٍ عن معاناتنا النفسية والعاطفية.

وقد تتبَّعتُ سِيَرَ بعض الناكبين عن الصِّراط، فرأيت منهم مَن ترك التدين، ومنهم مَن كره المتديِّنين، ومنهم مَن ألحد -والعياذ بالله- ورأيتُ أن الأمرَ في غالبه لا يعدو أن يكون تردِّيًا في حالة نفسية استحكمت؛ بسبب غياب الأُنموذج والقدوة التي تمتلك الصبر والاتِّزان والهدوء الكافي لتَقْبَلَ الحق وتفرحَ به: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨]، تفرح به في بيداء الحياة الحارة التي لا يقطعُها المرء إلا أن يكون آويًا إلى رُكن شديد، ومتَّصِلًا بالقوة الربانية التي هي فوق حدود البشر.

الأُنموذج الذي لا يستحضر صورة نمطية سلبية قاتمة، بسبب ممارسات اجتماعية أو سياسية أو حركية إسلامية، أو حتى معاناة شخصية أسرية.

مع علمي بأن الأمر -أحيانًا- يكون أسهل من ذلك، وأن الله برحمته يَفِيضُ الإيمان والصدق والشفافية والصفاء على كثير من النفوس، ولو كانت عَليلة كليلة، أو ذات مُعاناةٍ طويلة.

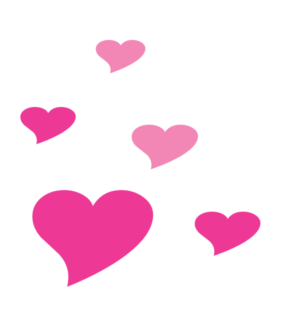
لا أريد أن يَفْهَمَ أحد ما بأن الإيمان لا يحصل عليه إلا النُّدرة من الناس، الذين تجرَّدوا من ألوان المعاناة؛ بل المعاناة جزء من الطبيعة البشرية: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤].

ولكنِّي أعتقد أنه في ظلِّ ظروفنا الحالية وأوضاعنا نحتاج إلى قدوات حية، تتعالى عن الواقع المرِّ، وتحرص على إعادة ثقة الأجيال بدينها، بل ثقة الأجيال بنفسها وحاضرها ومستقبلها، الدِّين تعزيز للعقل، وتحفيز لطاقاته، وليس في الدِّين ما نخشى من إثارته أو الحديث عنه أو مناقشته، بَيْد أنَّ فَهْمَ الناس وضِيقهم وعَجَلَتَهُمْ تُـخيِّل للإنسان أن الأمر ليس كذلك.

لست أجد حرجًا أن أجادل إنسانًا غير مسلِم أيًّا ما كان الموضوع؛ لأن إسلامي قوةٌ عظيمةٌ مليئةٌ بالإقناع والحجة، ولكنِّي أجد الحرج حين يكون المسلم الضعيف رقيبًا يبحث عن الأخطاء والزلَّات

والأقوال المحتملة، وكأنه يريد مِنِّي أن أنقل للآخرين رؤيته الخاصة عن الإسلام، وليس المعنى العظيم المتضمَّن في الكتاب والسنة، وهو بهذا يقدِّم حُجَّة ودعماً عقليًّا، وبرهانًا واقعيًّا للذين يبحثون عن مبرِّر في الصفِّ الإسلامي؛ للطَّعن في الإسلام نفسه، والشَّغَب على مُحْكِمَاته ويقينيَّاته، ومتى ما حمَّلنا الإسلام أخطاءنا حَرَمْنا أنفسنا من رحمته، وحرمنا الناس والعالم من سبيله وهُداه، وكنَّا وسيلةً للصدِّ عن طريق الإيمان والرحمة، يقول الحكيم العليم: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام:٢١].






إلى مَنْ مَشَتْ قَدَماها
في طَرِيْقِ الوَحْل

إلى مَنْ مَشَتْ قَدَماها في طَرِيْقِ الوَحْل

وردتني رسالة من فتاة تستفسر عن حالها، وبعد شرح مطوَّل، ذكرت فيه وقوعها في حبائل الشيطان، وأنها انزلقت في دروب الانحلال؛ **فبعثت إليها بهذا الحديث:**

قرأتُ أسطُرَ رسالتك وحزنتُ لك فعلًا، فإن مَن جرَّب مثل هذه الأمور، أو اطَّلع على تجارب أهلها يشفق عليهم؛ لأن الوقوع فيها سهل، والخلاص منها صعب، إلا لمن عَصَمَهُ الله..

وإنني أعلم ولعلَّك تعلَمين أن لو كنتما زوجين لم يقع بينكما كل هذا، ولكنه إغراء الشيطان بالشجرة الحرام، واستجابة الإنسان دون وعي بالعواقب ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

ومثل هذه الاتصالات الهاتفية، أو عبر البريد الإلكتروني، أو عبر الماسنجر تتحول إلى عادة سيئة وإدمان مقيت، خاصة لمن يعانون من الفراغ، ولا يجدون البرامج العملية المفيدة التي تملأ أوقاتهم.

أيتها الأخت الكريمة، لو كان هذا الإنسان رجلًا وجادًّا فعلًا، هل كان يركب هذا الطريق الذي يدري كلُّ الناس أنه ذنب مرذول؟! وهل

كان يقع ويوقِعُك في هذه الهوَّة الساحقة، مع أنه كان بإمكانه أن يسلك الطريق الحلال ويطرق الباب؟

وإذا افترضنا أن ظروفه لا تسمح بذلك، سواء الظروف الاجتماعية أو المالية أو غيرها، فما معنى أن يتورط في هذا المنـزلق الخطير؟

إنني لا أفهم معنًى لشاب يحفظ فتاوى العلماء، ويشرف على مواقع إسلامية في الإنترنت، ويمضي للحج والعمرة، وهو في غضون ذلك يتواصل معك بهذه الطريقة المدمِّرة!!

أما كان يؤذيه لو كان يحدث هذا مِن أخته أو بنته؟! وهل ترينه يرضاك زوجة له، وهو يحتفظ عنك بمثل هذه الذكريات؟

إنني أقترح عليك أن تطرَحي عليه هذه الأسئلة وغيرها، وأن تطلُبي منه أن يكون معك في غاية الشفافية والوضوح.

أما أنت فأغمِضي عينيك قليلًا، وتخيَّلي نفْسَكِ بعد خمس من السنوات وقد أصبحْتِ زوجة وأمًّا وربَّة بيت، هل يُسعِدُك أن تلتفتي إلى ماضيك لتجديه ملطَّخًا بهذه الأعمال التي لا دافع مِن ورائها إلا اللذة، واللذة الحرام؟

أم هل يسعدك أن تَرَيْ زوجك المخلص، فتشعرين بالعار وتأنيب الضمير، وأنت تخفين عنه ما لو علم لربما كان الفيصل بينك وبينه؟!

أم هل يسرُّك أن تجدي تكديرًا في حياتك وتنغيصًا، لا تعرفين له تفسيرًا، سوى أن تعتقدي أنه عقوبة لماضٍ أحصاه الله ونسوه؟!

إن مما يجب أن تتبيَّنيه أن هذه المشاعر المتبادلة بينكما مشاعر وقتية

غير صادقة، ولا تصمُدُ أمام امتحان العمل؛ لأنها ليست مبنيةً على أساس صحيح، ويغلب على ظنِّي لو أن قَيْسًا تزوج ليلى -وهما رمز الحب العُذْري- لكان أجود ما تنتهي إليه حياتهم هو أن يعيشا في ستر ودرجة معقولة من الرحمة أو المودة.

لكن لم يكن بعيدًا بالمرة أن يتصل قيس على والدها؛ ليطلب منه أخذ بنته التي لم تَرْعَ للوداد حرمة!

أو أن تتصل البنت بوالدها؛ شاكية باكية على زوجها الذي لم يَرْعَ عهد الوفاء بينهما.

لقد مَرَّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في دمشق بليلى بنت الجوديِّ، ومعها وصيفاتها، فأُعجِب بحسنها وجمالها، ولم يدرِ كيف السبيل إليها، وكان يقول:

تذكَّرْتُ ليلى والسَّماوةُ دونَها ... وما لابنةِ الجوديِّ ليلى وما ليا

وكيف تعني قلبه عامريةٌ ... تحلُّ ببُصْرَى أو تحل الجَوَابيا

وكيف يُلاقيها بلى ولعَلَّها ... إذا الناسُ حجُّوا قابلًا أن تُلاقيا

فكتب عمر رضي الله عنه إلى صاحب الثَّغر الذي هي به: إذا فتح الناس عليكم دمشق، فقد غنَّمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجوديِّ.

فلما فتح الله عليهم غنَّموه إياها.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فكنت أكلِّمه فيما يصنع بها: فيقول: يا أُخيَّة، دعيني، فوالله لكأني أرشُف من ثناياها حبَّ الرمان».

ثم ملَّها وهانت عليه، فكنتُ أكلِّمه فيما يسيء إليها كما كنتُ أكلِّمه

في الإحسان إليها، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «يا عبد الرحمن، لقد أحببتَ ليلى فأفرطْتَ، وأبغضْتَ ليلى فأفرطْتَ، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهِّزها إلى أهلها». فجهَّزها إلى أهلها[1].

وما تعطيه قصصُ الحبِّ العربية ليس بعيدًا عن قصص الحب الأجنبية، والتي مِن أشهرها قصة روميو وجولييت!

فلِكَيْ يكون الحب رومانسيًّا خياليًّا، يجب أن يموت أبطاله محرومين، وهذا ما لا يستقيم عليه أمر الدنيا، الذي يحتاج إلى التفكير العملي الواقعي في بناء البيت والأسرة ورعاية الأولاد وتكوين المجتمع، والتعاون في مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها ومراحل العمر المتغيِّرة.

ولا يستقيم به أمر الدين، الذي جعل الغاية العظمى هي العبودية لله، وجعل الزوجية مجالًا واحدًا من مجالات تطبيق هذه العبودية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، فما لا يحققه الزوجان بالمودة يحققانه بالرحمة، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «ليس كل البيوت يُبنى على الحبِّ، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام»[2].

---

(١) ينظر: أسد الغابة (١/ ٧٠٣)، والأغاني للأصبهاني (١٧/ ٣٥٨-٣٥٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥/ ٣٣-٣٤)، (٧٠/ ٥٨-٥٩)، وذم الهوى لابن الجوزي (ص ٦٥٤-٦٥٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار (٢٣٦ - مسند علي)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٧٨).

وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «**كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ.. وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**». قالوا: يا رسولَ الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟**». قالوا: نعم. قال: «**فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[(١)].

وهكذا ارتقى الإسلام بالإشباع الجنسي في فراش الزوجية إلى درجة أن يكون معروفًا وصدقة وأجرًا، وأن يُذكر عليه اسم الله تعالى.

بينما جعل الإشباع خارج هذا الإطار عدوانًا وفاحشة وإثمًا مبينًا، ومَن متَّع نفسه بالحرام، فإنه يُحرَم مِن كمال لذة الحلال جزاءً وفاقًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فافزَعي أيتها الأخت الكريمة إلى ربك توبة واستغفارًا، وذكرًا وقرآنًا، واستحضارًا لعظمته ومراقبته وسمعه وبصره؛ فإنك بمرأى منه ومَسْمَع.

ثم افزَعي إلى عقلك ورشدك، ولا تقدمي على أية خُطوة بمجرد العاطفة أو الهوى المحض حتى تتأمَّلي في عواقبها على دينك، وعلى سُمعتك، وعلى عرضك، وعلى نفسيتك، وعلى أسرتك، وعلى حاضرك، وعلى مستقبلك.

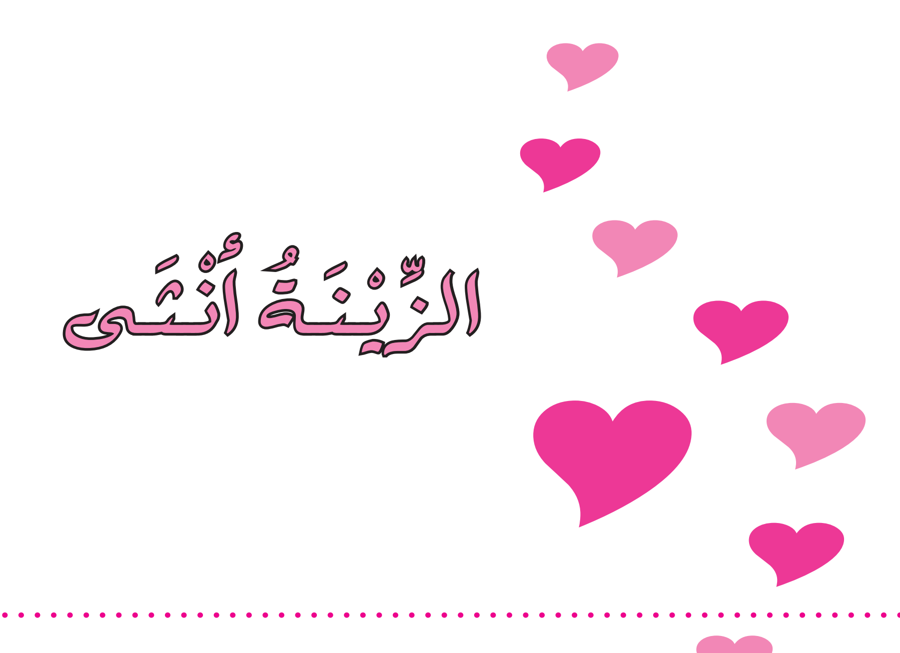
أسأل الله تعالى أن يعصِمَك من الزلل، وألَّا يكِلَك إلى نفسك طرفة عين، وأن يأخذ بيدك إلى برِّ الأمان، إنه هو الرحمن الرحيم.



---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦).

الزِّينَةُ أُنْثَى



الزِّيْنَة أُنْثَى

هذه طالبة في المرحلة المتوسطة..

تقول: ذهبت لأول مرة؛ فإذا بالـمُدرِّسة يوجد على جِفنها أثر ضربة، فكنت أتأمَّلُها، وأقول في نفسي:

مسكينة هذه المُدرِّسة...!

مَن الذي ضربها؟

أتراه زوجها؟!

أم أحد أطفالها؟!

أم سقط عليها شيء خطأً ؟!

بينما كنت سارحة في تحليل هذا الأمر، إذا بالمُدرِّسة تقول لي -وقد لاحظت شرودي، وتركيزي على النظر إلى جِفنها-: عرِّفي الذرَّة؟

قلت لها: الذرة كائن صغير .

قالت: والزيادة أيضًا.

قالت: يمشي على رجلين.

قالت: أيضًا جعلت لها رجلين؟! اقعدي.

وتبيَّن لها بعد ذلك: أن هذا الذي رأته على معلِّمتها إنما هو أثر لما يُسمَّى بالظلِّ !!

إن من فطرة المرأة أن تحب الزينة والجمال.

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨].

والقدر المعتدل من الجمال لا بد منه، وليس مطلوبًا من المسلمة أن تكون خارج نطاق عصرها في لباسها.

ولذلك حرَّم الإسلام لباس الشهرة، ومنه: الشهرة بالتواضع ومزيد البساطة.

وليس هناك أي تعارض بين الالتزام والتقوى، وبين الأناقة والشياكة، والاهتمام المعتدل بالمظهر والملبس .

مصادر اقتصادية تقدر قيمة ما أنفقته نساء الخليج خلال صيف (٢٠٠٨م) على الأناقة والجمال بـ ١,٧ مليار دولار، هذا فقط ثمن لمستحضرات التجميل!!

إن هذا الرقم يفوق ما تنفقه النساء في الدول التي تنتج هذه المستحضرات، إنه يفوق ميزانية دول بأكملها.

هذا المبلغ الهائل، يمكن أن يسدَّ جوعة شعب مسلم بأكمله؛ مثلًا في بنجلادش، أو يؤازر مقاومة شعب آخر في فلسطين، أو يقيم كَمًّا كبيرًا من: المؤسسات، والمدارس، والمعاهد، ومراكز الأبحاث في العالم الإسلامي.

هناك صرعات تجميلية، تتلقَّاها الفتاة من الفضائيات، وربما تأخذها

من القدوات السيئة، **منها:**

التخريم للآذان: ليس مرة واحدة، بل بضعة أشكال، تتدلَّى من الأذن.

وكذلك التخريم للشِّفاه، أو للحاجب، وحتى السُّرَّة، وأخيرًا اللسان؛ ليبدو مشقوقًا، وكأنه لسان سِحْلية!

وتقوم بهذا العمل مشاغل تبحث عن الربح، وأحيانًا مستوصفات هنا وهناك، بطريقة سرِّية، بعيدًا عن عيون المراقبين.

ولا شك أن التخريم يعتبر سلوكًا غير حميد، باعتراف العلماء والمتخصصين، وأنه يمكن أن يفضي إلى آثار صحية سيئة؛ بسبب عدم تعقيم الآلات، وهو أقصر طريق إلى انتشار الإيدز، والتهاب الكبد الوبائي، أو الفشل الكبدي، أو الأمراض الجلدية.

إضافة إلى أن ذلك، تعبير عن ضعف وضياع الشخصية والفراغ.

هناك الوشم، وهو محرم؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الوَاشِمَةَ وَالـمُسْتَوْشِمَةَ»(١).

والوشم: هو الرسم الثابت على مواضع مختلفة من الجسد، على الكتف، أو على الظهر، أو على الفخذ، أو في الوجه، أو في اليد، أو في غيرها عن طريق الوخز بالإبر.

وأيضًا قد حذَّرت اللجنة الأوروبية من أن الوشم تُستخدَم فيه مواد كيماوية سامَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

وقال التقرير الرسمي المعتمد: إنه يسبِّب العدوى بأمراض مثل: (فيروس HIV) الذي يسبب الإيدز، وكذلك التهاب الكبد، ومثل سرطان الجلد، وجرى الإبلاغ عن حالتي وفاة بسبب الوشم أو تخريم الجسد.

من صرعات الجمال الخادع: ما يتعلَّق بالنَّمْصِ؛ وهو نتف شعر الحاجبين تلبيسًا أو تدليسًا أو إغراءً، وأما نتف شعر بقية البدن فهو جائز، ومباح للمرأة على القول الصحيح.

ومِن ذلك أيضًا: التفليج وهو: إبعاد الأسنان، أو حكُّ الأسنان، بحيث يكون بين السنِّ والأخرى فراغ.

وهذا تفعله عادة المرأة الكبيرة؛ لتبدو كما لو كانت فتاة أو صبية، وهو محرم؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**لَعَنَ اللَّـهُ الوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالـمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّـهِ**»[١].

لكن إن كان ثمة حاجة لعلاج السن بأن يكون السن معوجًّا مثلًا أو طويلًا أو ناتئًا فلا بأس بهذا.

من الزينة: ما يتعلَّق بقصِّ الشعر أو حلقه:

أما حلقه، فلا يجوز لغير حاجة على الأرجح.

وأما قصُّ الشعر؛ فمُختلَف فيه، **والراجح:** أنه يجوز للمرأة أن تقُصَّ شعرها، وأن تتزين.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» أنَّ أمهات المؤمنين كنَّ يَأْخُذْنَ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥).

رُؤُوسِهِنَّ حَتَّى تَكُونَ كَالْوَفْرَةِ[١].

لكن بمعزل أن تصبح الفتاة متابِعة لأحدث التسريحات وغيرها.

من الزينة: ما يتعلق بصبغ الشعر، والأصل فيه أنه جائز، وقد قال النبي ﷺ -كما في الصحيح-: «**غَيِّرُوا هَذَا الشَّيْبَ بِشَيْءٍ**»، وفي رواية: «**غَيِّرُوهُ، وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ**»[٢].

ولذلك، أخذ بعض الفقهاء المنع من الصبغ بالسواد، وهذا قول.

والقول الآخر: إن ذلك مكروه، وإن النهي ليس للتحريم؛ لأنه في باب الآداب والأخلاق. وهذا قول جيد؛ وهو المختار.

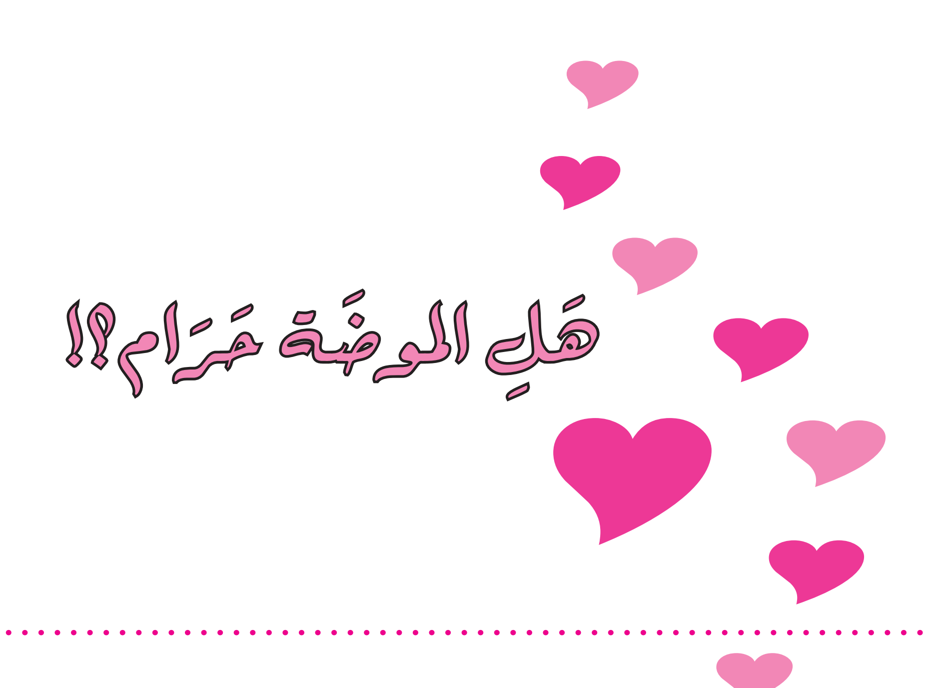
وقال بعضهم: إن رواية: «**وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ** » شاذَّة ولا تثبت، وهذا اختيار جماعة من المحدِّثين والمحقِّقين.



(١) صحيح مسلم (٣٢٠)، والوفرة: ما وصل من الشعر إلى الأذنين.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٩٣٣، ١٤١١٤)، ومسلم (٢١٠٢).

هَلِ الموضَة حَرَام؟!



هَلِ الموضة حَرام؟!

المتاجرون بالجسد يضخِّمون في المرأة جانبها الأنثوي، وجانبها المادِّي، ويحصرون الاهتمامات في حدود جغرافية البدن.

وهكذا تبدو الشوارع والمدارس والأسواق؛ كما لو كانت دُورًا لعرض الأزياء.

ويصبح الشغل الشاغل للمرأة؛ هو الزينة من قمة رأسها وتسريحاتها إلى أظافر قدميها وحذائها.

وهذا يؤدِّي إلى ضحالة الاهتمامات، وتحويل المرأة من إنسان إلى شيء، أو إلى سلعةٍ.

إن التبرُّجَ ليس دليلًا على الحرية والتقدم -كما يقال- بل هو سلوك موغل في التخلف والرجعية، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولقد تفنَّنت دُور الأزياء في صناعة اللباس؛ فمِن أنواع (الجينز) -الذي هو في الأصل سراويل رعاة البقر الأمريكيين- إلى الـ (تي شيرت) إلى الـ (ميني جيب)، والـ (ميكروجب)، إلى الـ (استريتش)، إلى ألوان

وأنواع كثيرة؛ تفننوا فيها، وتحايلوا على كشف أجزاء مثيرة من الجسد.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾ [الأعراف: ٢٨].

إن المظهر الخارجي للفتاة مُهمٌّ قطعًا، والله عز وجل جميل يحب الجمال، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»[(١)].

والزينة نعمة:

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولكنَّ زِيَّ الفتاة هو تعبير عن شخصيتها..

ومن احتقار المرأة: النظر إليها على أنها جسد فقط، فضلًا عن اعتبارها بلباسها مثلًا، وليس بخصائصها الإنسانية، أو بجمال روحها وعقلها وشخصيتها وأخلاقها.

أخطر ما في الموضة:

أولًا: التقليد:

فهي مُصمَّمة لنساء كاسيات عاريات، من غير بناتنا ولا نسائنا.

يقول الأستاذ المهتدي النمساوي محمد أسد -الذي كان اسمه: (ليوبلد فايس)، ثم أسلم، وكتب كتبًا كثيرة، وتُرجِمت إلى العربية-:

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(إن ارتداء المسلمة للزيِّ غير الإسلامي، يجعلها تستقبل ثقافة وافدة، وأخلاقًا وسلوكًا لا يقرُّها الإسلام، وسوف يؤثِّر هذا اللباس أو الزيُّ في أخلاقها، شاءت أم أبت) .

الأثر الثاني: البذخ، والإسراف، والنزعة الاستهلاكية:

فأزياء لكل موسم، وتصاميم وألوان وأشكال، وقنوات عديدة متخصصة في الأزياء، وربما معظم القنوات الأخرى فيها برامج مخصَّصة، مواقع إلكترونية، على سبيل المثال: موقع اسمه (ستايل) موقع واحد يحمل أكثر من مائتين وخمسين بيتًا للأزياء العالمية، تتحكم في مصير الأزياء، يعني: في مصير النساء، ربما في العالم كله -كما يقال- من فستان السهرة إلى ثياب البحر!

ولأننا -شعوب العالم الثالث- شعوب مقلِّدة؛ فإن ما تطرحه هذه البيوت يتمُّ تلقِّيه بحفاوة واهتمام!!

لأننا لا نريد أن نُوصَم بتهمة التخلف والرجعية، فنحن مجرد أسواق استهلاكية، يُضَخُّ إلينا وإلى أسواقنا ومتاجرنا ما تنتجه دُورُ الأزياء أوَّلًا بأول..!

إن هذه الملاحقة للأزياء ترهق كواهلنا، وتستنزف ماديَّاتنا وأموالنا، حتى باتت الفتاة تستحي أن تلبس الزيَّ الواحد مرتين في مناسبتين مختلفتين، وصارت الأعراس والمناسبات حفلات استعراضية للأزياء!!

الأمر الثالث: إن العصر الذي نعيشه يضجُّ بالجديد المفيد في عالم التقنية، والإدارة، والمعلومات، والنظريات العلمية.

وليست المعاصرة هي المسايرة العَمياء لهذه المظاهر السطحية، بل هي تفهُّم روح العصر ومعرفة أبعاده، وتحويل الاهتمامات إلى الأشياء الحقيقية الجوهرية العلمية المفيدة، وليس إلى المظاهر والأشكال.

نحن نجد شعوبًا غير مسلمة، تهتم بلباسها وزيِّها الخاص، حتى لو سافرت حافظت على زيِّها، بل حتى لو هاجرت إلى دول أخرى، فإنها تحافظ على خصوصيتها الثقافية والاجتماعية، بدلًا من التقليد.

فما بال المسلمين اقتصروا في أزيائهم القديمة على عرضها في المهرجانات والمناسبات التراثية.

نعم، نحن لا نقصد أن الفتاة تلبس -بالضرورة- ثوب جدَّتها.

الإسلام لا يَشْتَرِط لونًا خاصًّا ولا لباسًا خاصًّا، ولكنه يَشْتَرِط مواصفات خاصَّة، ويريد مِن أهله أن يكونوا واعين.

يشترط أن يكون اللباس ساترًا، لا يكشف العورة، ولا يدعو إلى الإثارة.

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن الزيَّ الإسلاميَّ يستبعد عنصر التهييج الجِنْسيِّ، والمفاتن البارزة من اللباس، إلا أن يكون لباسًا خاصًّا في غرفة النوم، فالأصل أن اللباس يدعو إلى الحياء والعفة وإنسانية العلاقة بين الرجل والمرأة.

ولذلك يعبر الحجاب عن الروح السعيدة.

عاد الحجاب ليملأ الشوارع العربية والتركية بشكل لافت للنظر،

ولم يعد يقتصر على شريحة عمرية من النساء كبيرات السن، بل تعدَّاها إلى الشابَّات من طالبات الجامعة والمعاهد المختلفة.

هذه الظاهرة في تونس مثلًا، تثير فضول الكثيرين الذين يشيرون إلى أن المرأة في تونس، تعيش وضعًا فريدًا عن بقية الدول العربية والإسلامية؛ فمنذ عام ١٩٥٦ ميلادي قبل أكثر من خمسين سنة تتمتع المرأة التونسية -إن صحَّت العبارة- بالمساواة التامَّة مع الرجل، بموجب قانون الأحوال الشخصية.

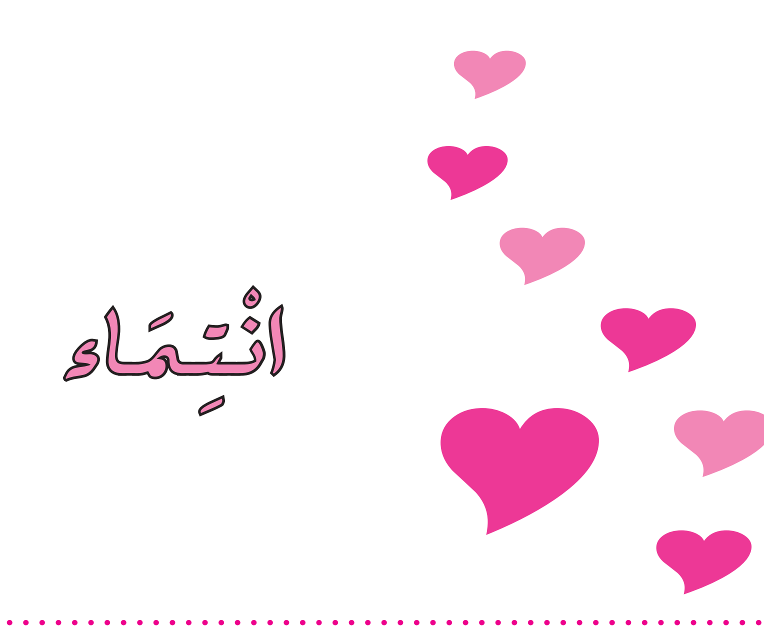
وفي نظر أغلبية المحلِّلين فإن هذه الظاهرة الجديدة -الحجاب- هي إحساس بالهوية، وعودة إلى الدين، خاصة بعد الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي؛ في أفغانستان، وفلسطين، والعراق، وغيرها.

وقد عبَّرت كثير من المؤسسات والجمعيات والناشطين في مجال حقوق الإنسان عن استيائهم وانزعاجهم من المضايقات التي تتعرَّض لها المحجبات.

لكن في المقابل، الجمعية التونسية للنساء الديموقراطيات تعبر عن قلقها البالغ من تنامي ظاهرة ارتداء الحجاب، وترفض بشكل قطعي، ما تَرْمُز إليه هذه الظاهرة من انغلاق ورجعية!!

هذا في الوقت الذي أصدرت فيه أكثرُ من مائة شخصية علمانية فرنسية عريضةً علنيةً تؤكد حق المسلمات الفرنسيات في ارتداء الحجاب في المدارس، وتطالب الحكومة الفرنسية بتمكينهن من الدراسة، وعدم التدخل في خصوصياتهن الدينية والاجتماعية.

انْتِمَاء



انْتِمَاء

٢٣٪ من الذكور، ٣١٪ من البنات؛ مأخوذون بهمِّ الأمة، ومشكلاتها العالمية.

الكثير من البنات أصبحن يعرفن عن (مادونا) ما لا يعرفنه عن (إيمان حجو) !

المرأة المسلمة، تعاني اليوم مشكلات صعبة، في سجون إسرائيل -مثلًا- أو في السجن الكبير داخل المجتمع الفلسطيني، حيث لا دخل، ولا عمل، ولا أمل، ولا أمن، ولا مستقبل.

والمرأة المسلمة، تعاني مثل ذلك في العراق، حيث الفقر في بلد غني نفطي، وحيث الخوف، والضحايا، والمشكلات.

وتعاني مثل ذلك في أفغانستان؛ معاناة مريرة طويلة، من الفقر، والجهل، والمرض، والشتات.

والأمة تعيش ظروفًا صعبة، نحن الذين كُتب علينا أن نواجه مثل هذه الظروف؛ وليس يجدر بنا الفرار من تبعاتها.

إن هم الأمة عريض، وأنتِ جزءٌ من الحل؛ فخذي الموقع الذي

تختارينه؛ بناءً، وإصلاحًا، وتعليمًا، وعلمًا، ودعوة، وحفاظًا، وسيري إلى الله عز وجل.

ولكي تكوني فاعلة ومؤثِّرة، عودي إلى الكتاب!

يشكو الكتاب هجرك أيتها الفتاة هجرًا طويلًا.

ما تقرؤُهُ الطالبة الجامعية، هو بمعدل ثلاث صفحات يوميًّا فقط، حسب إحدى الكليات.

وفي تحقيق مع طالبات بجامعة دمشق تبيَّن أن الطالبة تقرأ ما يتعلق بالمقررات الدراسية فحسب، هؤلاء ٢٠٪، أما ٢٠٪ فيقرأن إضافة إلى ذلك، مراجع أخرى في ميدان التخصص.

واحدة تقول: بدل الكتاب.. اشتري بلوزة!!

أخرى تقول: هم لا يريدونها فيلسوفة!!

عُلا: طالبة جامعية، تقول: لا تصدق أبدًا أن فتاة تقرأ كتبًا ثقافية، أو علمية، إن كل ما يُهم الفتاة، هو عالم الأزياء والموضة؛ للتعرُّف على الجديد، وكيفية اختيار تسريحة شعر تناسب وجه الفتاة!!

الواقع يشهد، إقبالًا من الجنسين على بعض الكتب.

أولًا: أكثر البنات يقرأن كتبًا صغيرة، وفي موضوعات سطحية، سواء كانت كتبًا طبية، أو متعلقة بأسرار المرأة، أو موضوعات الزواج، وأحيانًا كتبًا عن السحر، والجن، والأحلام، وغيرها.

ثانيًا: ما يسمى بالروايات الرومانسية التي تتحدث عن الحب والمشاعر والعواطف.

سألتني إحدى بناتي عن روايات: (عبير)، وهي روايات كانت تباع سابقًا، حتى في البسطات والبقالات؛ وهي مقتبسة في الأصل من روايات إنجليزية وفرنسية اسمها: (أرلوكان) منتشرة بأيدي المراهقين، في العالم كله، تتسم بالسطحية، والحلول الوهمية والتكرار، والكم الهائل من العادات الغريبة، هي روايات رومانسية ضعيفة اللغة، رديئة التركيب والبناء الفني.

غابت هذه الروايات عن الأسواق، أو كادت، غير مأسوف عليها، وإن كانت بعض البدائل شرًّا منها.

ثالثًا: هناك القراءة الشرعية، حفظًا للقرآن والسنة، وطلبًا للعلم، ومشاركة فيه؛ فقهًا، وحديثًا، وتفسيرًا، وتاريخًا، ودعوة، وتربية، وغير ذلك.

وهذه ظاهرة تتزايد، وبشكل مستمر.

على سبيل المثال:

* في الرياض عام (١٤١٣هـ) كان لا يوجد إلا ثلاث حافظات، وعشرة آلاف دارسة للقرآن.

* بينما في عام (١٤٢٢هـ)، ٧٤ حافظة، وأكثر من ٤٠ ألف دارسة.

هذا ليس حكمًا كليًّا، وإنما في مدينة واحدة، ووفق المنتميات لجماعة تحفيظ القرآن الكريم.

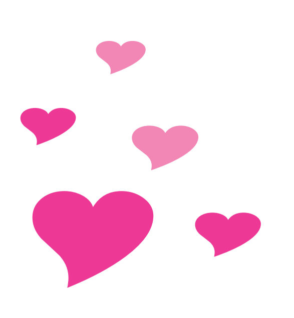
إن نشاط الدُّور النسائية، العلمي والتربوي، نشاط مشهود،

وتأثيرها على البنات كبير؛ في العلم، والسلوك، وبناء الشخصية، وهي ذات أثر طيب في الحفاظ على قيمنا وأخلاقنا وبناتنا.

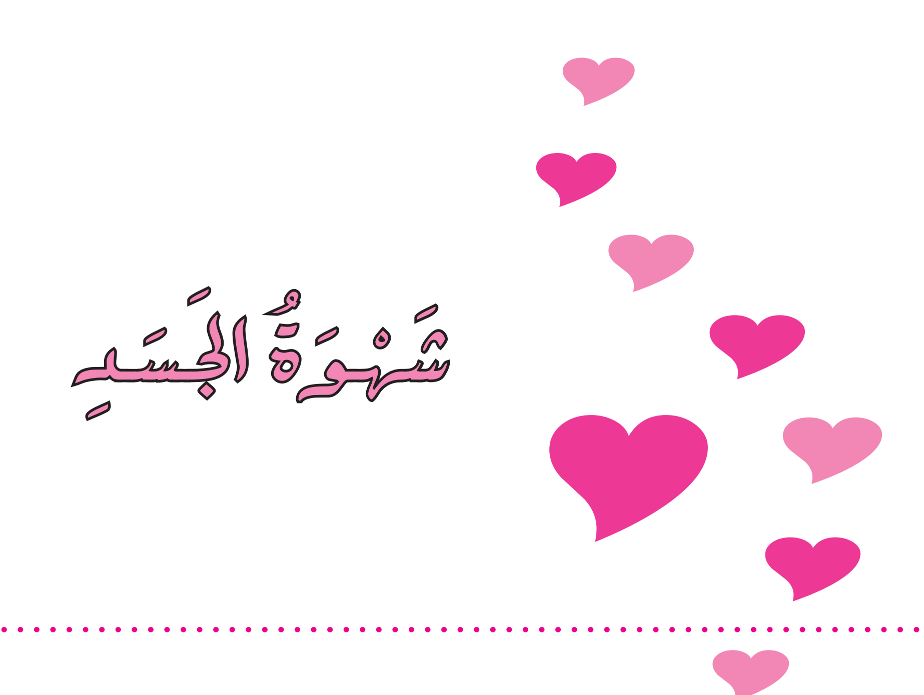
رابعًا: هناك مشاركات نسائية، في الكتب والكتابات، والمقالات الصحفية، والشعر، والمواقع الإلكترونية، وهي جديرة بالإشادة، والكثير منها هادف وموجه، سواءً فيما يخص المرأة، أو في قضايا الأمة عامة.

وهناك عدد طيب من الأخوات المتخصصات، في ألوان العلوم الشرعية والإنسانية، في الجامعات وغيرها.





شَهْوَةُ الجَسَدِ



شَهْوَةُ الجَسَدِ

إنها غريزة فِطرية؛ لديمومة الحياة، واستمرار النسل، ليس هذا فحسب، بل إنها مقصودة بذاتها؛ فهي متعة إنسانية راقية، محاطة بالكثير من الأدب والذوق، وليست شهوة حيوانية بَهيمية مُـجَرَّدة.

ارتقى بها النبيُّ ﷺ إلى مرتبة أن تكون من الصدقات، وأن يذكر عليها اسم الله سبحانه وتعالى[1].

وكان مِن هدي الأنبياء عليهم السلام؛ أن جعل الله ﷻ لهم أزواجًا وذرية: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

أشياء تؤثِّر في اندفاع الإنسان نحو الشهوة:

أولًا: المشاهدة والنظر:

فكثرة النظر وإدمانه، لا شك أنه يشحذ الرغبة والشهوة عند الفتى أو الفتاة؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ

---

(١) في قوله ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**». أخرجه مسلم (١٠٠٦).
وقوله: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جَنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا**». أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

﴿ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

إن النظر هو البداية.. ، وقد غدا عبر وسائل الاتصال من قنوات ومواقع وإعلانات ومجلات كالهواء الذي يتنفسه الناس، حين يكون مشبعًا بالغبار والأتربة، أو الجراثيم والأوبئة، وصارت قنوات الأزياء وسواها تدرب على ألوان التبذل والتبرج والعري، وتدعو إلى العودة لنظام الغابة بطريقة حديثة!

وكما قيل:

كُلُّ الحوَادِثِ مبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... في أَعيُنِ العِينِ مَوْقوفٌ عَلَى الخَطَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَعَلَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فِعْلَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالْضَّرَرِ

ثانيًا: العادة:

فإنَّ اعتياد الإنسان على المكالمات، أو المشاهدات، أو ممارسة ما يُسمَّى بالعادة السرية، بحيث تتحول مِن تصريف للشهوة، أو تخفيف من حِدَّتها إلى نوع من البحث عن اللذة وإثارتها.

وغالبًا ما يصحبها شعور مُفرِط بالمهانة، واحتقار الذات وتأنيب الضمير.

والغريب أن هذا الشعور، لا يحدُث عندما تقع البنت في الكذب

مثلًا، أو في الغيبة والنميمة، أو حتى في السَّرقة، أو في عقوق الوالدين؛ مما يدلُّ على أنه شعور نفسي أكثر من أن يكون شعورًا إيمانيًّا، أو شعورًا أخلاقيًّا.

ثالثًا: العلاقة غير الشرعية:

ارتباطات عاطفية، ذكريات.

وهنا يتمُّ ابتزاز الفتاة بـ: التسجيل عليها، أو التصوير، أو ما أشبه ذلك؛ لمزيد من الإذعان والاستغلال.

إن من المؤلم حقًّا أن تجد طريق الإشباع الحلال كثيرًا من المعوقات، وأحيانًا كما عبرت لي إحدى بناتي «مغلق للتحسينات»!.

الأنظمة والأعراف السائدة، والتكاليف المادية، والأسرة كلها تتدخل بالرفض أو الاشتراط، حتى الشغالة أحيانًا (!).

بينما طرق الحرام مشرعة، التعارف عبر المواقع، أو أشرطة القنوات، أو الهاتف الجوال، أو الأسواق، أو ميادين العمل.. ثم الخلوة «**وَمَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا**»[١]؛ ليصبح اللقاء عادة يصعب تركها، وتتوهم الفتاة أنها عاشقة، وهذا فارس أحلامها، لتصحو بعد على فاجعة.. صورها على الإنترنت، اتصالات على أهلها، سمعتها تلاك في المجالس، الدنيا تظلم في وجهها، ويذهب بطل الجريمة لينسج حباله من جديد حول فتاة بريئة لا تعرف ماذا ينتظرها.

---

(١) كما في حديث عمر رضي الله عنه. أخرجه أحمد (١١٤)، والترمذي (٢١٦٥)، وابن حبان (٤٥٧٦)، والحاكم (١/ ١٤٤).

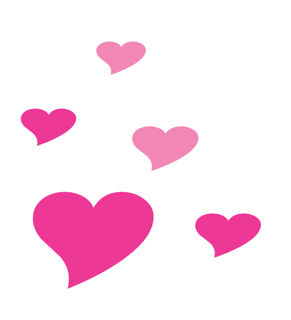
ابنتي الحبيبة التي شكت إلي هذا يومًا.. أقول لك:

مع كل النصائح التي أقدمها لك، وحقك في الوقوف معك، والدعم النفسي والحياتي لتجاوز هذه الأزمة، لا يسعني إلا أن أقول: إنك مسؤولة أيضًا، وأنت جزء من المشكلة، ولذا يجب أن تكوني جزءًا من الحل، وأن يرتقي وعيك ووعي بنات جنسك إلى إدراك معنى العلاقة وتبعاتها، وألا يستخفك الفحيح الذي يتحدث عن الحب والعشق والغرام والوله، وهو قد اختصرك في جسد يستمتع به لحظات، ليركله بعدُ، وينظر إليه بازدراء واحتقار.

إن الاستعلاء بهذا الدافع الجسدي يقتضي الإيمان بالحكمة الإلهية في خلقه، وفي انجذاب كل من الجنسين للآخر، ولذا فالإشباع الحلال هو سنة الأنبياء، وعلينا أن نجاهد لتحقيقه وتسهيل أسبابه، وهو حقنا الذي علينا أن نحافظ عليه، ولا نسمح لأحد أن يختطفه منا.

وحتى يتحقق، فهناك التصريف المشروع لطاقة الجسد في ألوان الأعمال والنشاطات والبرامج والمشاركات الفردية والجماعية، وحين تزل القدم فمن الخطأ أن نستسلم أو نركن، علينا النهوض من جديد، ودعم جوانب الخير في النفس، سعيًا إلى التزكية وترقيًا بالنفس، وطلبًا لرضى خالقنا الرحيم جل وتعالى.






الزَّوَاجُ وَالحُبُّ

الزَّوَاجُ وَالحُبُّ

المرأة التي لم تُدغدغ أناملُ الحب عواطفَها، هي تربة لم يشقَّها المحراث، إن لم ينبت فيها الزرع والثمر، رعت فيها الحشرات والهوام.

ولهذا كان الزواج من هدي الأنبياء والمرسلين:

يقول الله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وكان نبيُّنا محمد ﷺ يقول: «**أما واللـه إنِّي لأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[١].

الزواج: استجابة لنداء الحق جل وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

واستجابة لنداء محمد ﷺ: «**يا مَعْشَرَ الشَّبَاب، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[٢].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠). والباءة: هي القدرة على الزواج.

ورأى عمر رضي الله عنه رجلًا لم يتزوج على كبر سنه؛ فقال: «ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»[(١)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «مَن دعاك إلى غير الزواج؛ فقد دعاك إلى غير الإسلام»[(٢)].

الزواج هو الطريق الشرعي لقضاء الوطر الفطري الذي ينادي ويصيح بالبدن، فإن وجد الحلال، وإلا تعدَّى إلى الحرام:

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [المؤمنون: ٥- ٦].

الزواج: من أعظم نعم الله على عباده؛ فهو طريق العفة وطريق السعادة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

إنني مستعد أن أتخلَّى عن حظوظ الدنيا كلِّها من أجل امرأة، إذا تأخرت عليها عن موعد العشاء أصابها القلق وساورها الهمُّ.

هكذا نطق أحد الحكماء.

الزواج: طريق سهل ميسَّر لاكتساب الأجر والثواب من الله جل وعلا.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٠٣٨٤)، وسعيد بن منصور (٤٩١)، وابن أبي شيبة (١٦١٥٨)، والفاكهي (٦٧٤)، وأبو نعيم (٤/ ٦)، والبيهقي (٤٠٥٧).

(٢) ينظر: المغني (٧/ ٣٣٤).

لقد ارتقى به النبي ﷺ؛ ليكون عبادة لله سبحانه: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»[(١)].

«**إِنَّكَ لاَ تُنْفِقُ نَفَقَةً إِلَّا آجَرَكَ اللهُ فِيهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»[(٢)].

الزواج السعيد هو: القائم على أسس صحيحة، هو قوة للأمة، وتجديد لشبابها، وتكثير لأجيالها: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**» [(٣)].

الزواج السعيد: فرصة للتعارف بين الأسر والعوائل، والمدن والبلاد.

ولقد أسفرت دراسة أجراها طبيب نفسي على الرجال والنساء، في محاولة للتعرف أي الجنسين أكثر تقبُّلًا للسعادة؟

فوجد أن النساء أقدر من الرجال على استيعاب السعادة، وعلى استيعاب التعاسة في الوقت نفسه.

فإذا أُتيح للمرأة مقوِّمات الحياة الطيِّبة مِن بيت طيب، وزوج صالح، وأطفال، (ولم تسمن أيضًا)؛ فإنها تكون سعيدة.

وبضد ذلك، فإن المرأة إذا حُرمت مِن هذه الأشياء؛ فإنها تتجشَّم من البؤس، والشقاء، والتعاسة، أضعاف ما يتجشَّمه الرجل.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧).

والنجاح والفشل في الحياة الزوجية قضية تختلف من إنسان لآخر... فما أراه نجاحًا قد يعدُّه غيري فشلاً..

ولكن ثمة أمور ينبغي اعتمادها كأصل في مسألة النجاح والفشل، ويتفق عليها الجميع...

فالمرأة إذا لم تحترم زوجها وتحافظ على سمعته فلا يقول عاقل: إن هذا الزواج ناجح.

والرجل إذا كان مهمِلًا لبيته، تاركًا لزوجته وأولاده من أجل تحقيق رغباته الخاصة؛ فليس زوجًا ناجحًا.

وإن كانت هناك حقيقة تقول:

إن الفشل والنجاح متقلِّبان في الحياة الزَّوجية، بمعنى أن الزواج قد يبدأ ناجحًا ثم يفشل، أو يبدأ فاشلًا ولكن الزوجين يتخذان الأسباب ويعالجان الفشل؛ فتنقلب حياتهما نجاحًا.

وهذا هو المطلوب: العبور بالزواج إلى برِّ الأمان.

وأعلى درجات النجاح أو السعادة في العلاقة الزوجية هي: أن يكون النجاح في الدنيا والآخرة.

فدستور الحياة الزوجية يدور على:

١- الحوار.

٢- الحب.

٣- التضحية.

ويمكن تحقيق السعادة الزوجية بهذه الخطوات:

١- التوكل على الله والشعور بمعيَّته، فذلك من أسباب النجاة.

٢- التعرف على عوائق الحياة الزوجية، وعوامل فشلها، وكيفية تفاديها.

٣- قوة الإرادة..

وهناك أربع نقاط -ذكرها د. عبد الرحمن حبنكة في كتابه «الأخلاق الإسلامية وأسسها»- يمكن للإنسان قياس قوة إرادته أو ضعفها بها وهي:

* سرعة مبادرته للخيرات والطاعات.
* التفاؤل بالخير دائمًا.
* تلقِّي الأحداث بصبر ورضا.
* ملك النفس عند الغضب

والإنسان إذا أراد أن يقوي إرادته، فعليه:

أ- بتقوية إيمانه بالله جل وعلا، وبصفاته الحسنى، وبقضائه وقدره.

ب- والتدريب العملي من خلال مجاهدة النفس، وممارسة العبادات.

أما علماء النفس المُحدَثون، فإنهم يؤكِّدون أن استخدام علم البرمجة العقلية أو الإيحاء الذاتي له أكبر الأثر في تقوية الإرادة.

ج- تحويل الألم إلى سعادة، والمحنة إلى منحة بتقبل القضاء والقدر.

٤- الاستغفار والدعاء.. وكم مِن عائق للسعادة الزوجية قد زال بسبب الدعاء!

٥- النظر إلى الأمور بغير تعقيد؛ فالتجارب تدلنا على أنه كلما سهَّلنا الصعب وبسَّطنا المعقَّد؛ كان الأمر سهلًا ميسَّرًا، فلا نبالغ في الوصف والشكوى، ولا نظلم تاريخ العلاقة الزوجية، وما انقادت الآمال إلا لصابر.

٦- عقد جلسة مصارحة في مكان مناسب، ووقت مناسب، ونفسية متهيئة للاستماع، وكلمات رقيقة بعيدة عن الاتهام والتشهير

فكم مِن مشكلة تم حلُّها وعلاجها بسبب جلسة مصارحة ووئام! فكلُّ شيء يمكن إخضاعه للمناقشة.

وكما قيل:

«الصراحة راحة».

- القلب هو مصدر سعادتك، وليس البنك ولا المعدة.

- إن الكوخ الذي تضحك فيه المرأة خير من القصر الذي تبكي فيه.

- المرأة السعيدة هي مَن تجد رجلًا تحبه ويحبها.

- خير ما يكسب الرجل بعد تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ امرأة جميلة، والجميلة هي: الوفيَّة المصونة العاشقة.

- تستطيع المرأة أن تنقل لزوجها وأبنائها الصفة المهمة، التي يقلُّ وجودها في الجنس الخشن؛ إنها صفة الرحمة التي تملك المرأة منها ما لا

يملكه الرجال.

- يقول الشاعر جلال الدين الرومي:

أيها السائح الذي طوَّف بالآفاق..

وشَهِدتْ عيناهُ أخصبَ أرض تفيضُ فيها الأزهارُ..

وأبصَرَ الـمُروجَ تتفتَّح فيها الورودُ..

قلْ لي بالله: أيُّ البلاد رأيتَها هي أجمل البلادِ؟

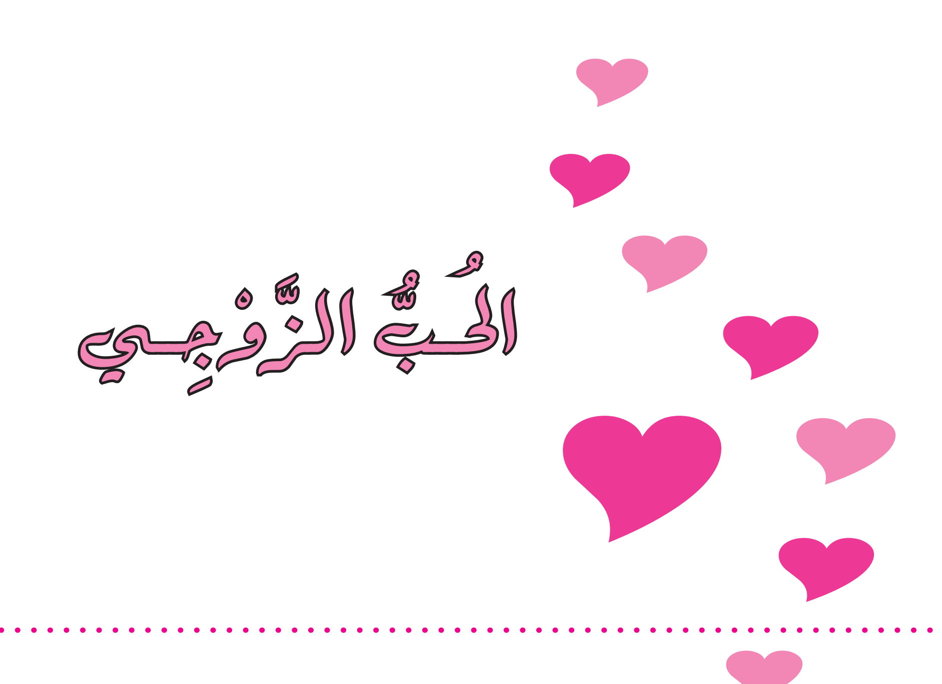
أيتها الحسناء:

أتريدين أن أَدُلَّكِ على البلد الذي يفوق حسنه كل حسن، ويمحو منظره كل منظر؟

ذلك يا حسناء حيث يقيم الأحبة.

أخصب أرض هي تلك التي وطِئَتْها أقدام الحبيب!




الحُبُّ الزَّوجِي

الحبُّ الزَّوْجِي

زارني قبل سنة!

وكان يقفز على الدرج بتوثُّب ونشاط.

لم أصدق أنه ابن ثمانين سنة أو يزيد.

فقد كان الرجل بحيوية الشباب وهو في هذا العمر؛ ثم اكتشفت شيئًا مِن سرِّ ذلك:

تزوج عام ١٣٦٨ هـ، وهو ابن ثلاثين سنة تقريبًا.

وقال لي: لا أتذكر أني غضبت عليها مرة واحدة، أو تكدرت نفسها مني، أو دَعَتْ عَلَيَّ أو على أحد من أولادها، وإذا شعرتُ بالصداع؛ فمن المستحيل أن تنام حتى أنام.

يقول في تأثر: لا يمكن أن أذهب حتى لشراء الحاجيَّات إلا وهي معي، وأنا أمسك يدها، كما لو كنا عروسين تزوجا البارحة.

وعلى إثر عملية جراحية؛ توقفَتْ عن الإنجاب! قال لها: أنت أغلى عندي من الأولاد، وأهمُّ ما أصبو إليه حياتك!!

يقول لي: ما دامت تطأ الأرض؛ فلا تفكير في الزواج.

لقد كنت أقرأ أن الحب عند الكبار؛ كالحريق في المباني القديمة، سرعان ما يأتي على كل شيء.

لكن مَن يرى هذه التجربة؛ يعلم أن الأمر ليس كذلك.

إن هذا نموذج حيٌّ واقعي، ولكن -من خلال التجارب ومراعاة أحوال الناس- يعتبر نموذجًا مثاليًّا.

لكن لا يلزم أن نعلِّق أنفسنا بمثل هذا النموذج، فيعود الواحد منا إلى زوجته ليطالبها بكل شيء، بينما لم يقم هو بأي شيء.

إن الزوجية حبٌّ ومودَّةٌ: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ولهذا، يحنُّ كلٌّ من الجنسين للآخر ويصبو إليه ويشتاقه!

وكأنه يبحث عن نصفه المفقود!

لما ماتت امرأة أبي ربيعة الفقيه دفنها ونفض يديه، ثم رجع إلى داره، فحوقل واسترجع، وبكت عيناه!

ثم قال يخاطب نفسه: الآن.. ماتت الدار أيضًا يا أبا خالد!!

إن البناء يحيا بروح المرأة التي تتحرك بداخله.





الحُبُّ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ



الحُبُّ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ

كانت لابن عمر رضي الله عنهما جارية، وكان يحبها حبًّا شديدًا، حتى إنها سقطت مرة عن الفرس التي كانت تركبها، فجاء إليها راكضًا، وجعل يمسح التراب عن وجهها وعن رأسها بحنان، ويفدِّيها (يقول لها: فدتك نفسي، فدتك نفسي). وهي تقول له: قالون قالون. (كلمة فارسية معناها: أنت رجل ممتاز).

ثم أتيح لها فرصة فهربت منه!!

فالتفت ابن عمر رضي الله عنهما، فلم يجد مَن كان يحبها؛ فكان يقول:

قد كنتُ أحسبُني قالون فانصرفَت

فاليومَ أعلمُ أَنِّي غيرُ قالون[1]

وذكر ابن حزم رحمه الله في كتابه «طوق الحمامة» أن محمد بن عامر كان يرى الجارية، فيحبها ولا يصبر عنها، ويأتي عليه الهمُّ والغمُّ إلى أن يشتريها ويتملَّكها! وبعد أن تصبح مِلكًا له، تتحول المحبة نفورًا، ويصبح الأنس شرودًا! فيتخلص منها!! حتى إنه أتلف بذلك مالًا عظيمًا.

(١) ينظر: تاريخ دمشق (٣١/ ١٧٨).

وكان أديبًا نبيلًا، حسن الوجه والصورة! يُضرَب به المثل في حسنه وجماله، وتقف الألفاظ عند وصفه.

وذكر ابن حزم أنه مات مِن محبته عددٌ من الجواري، بعد أن تسلل الملل إلى علاقته بهن، وأنا أعرف جارية منهن، كانت تُسمَّى: عفراء، لا تتستر عن محبته حيثما جلست، وكانت لا تجف دموعها أبدًا[١].

إن الحب الزوجي بحاجة إلى مجهود غير عادي من الطرفين، من أجل أن يظل واقفًا على قدميه.

فمشكلة الحب الزوجي ليست في الخلافات العادية الحياتية التي يتم تجاوزها، بل ربما تكون سببًا في تجديد العلاقة، أو هي (بهارات) تضاف إلى هذه الطبخة الجميلة.

وأحسنُ أيَّامِ الهَوى يومُك الذي
تهدَّد بالتَّحريشِ فيه وبالعَتب
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضَى
فأين حلاواتُ الرسائلِ والكتب

إن المشكلة تكمن في ثلاث نقاط:

الأولى: عدم قدرة الإنسان على فَهم الطرف الآخر؛ بل ربما عدم قدرته على فَهم نفسه هو.

---

(١) ينظر: طوق الحمامة (ص ١٩٩).

الثانية: عدم القدرة على التكيف مع هذه الشراكة الجديدة، أو التكيف مع الأوضاع المتغيرة، وكأننا نريد باستمرار أن يكون ما كان على ما هو عليه.

الثالثة وهي الأهمُّ: عدم الإخلاص لهذه العلاقة، وعدم الاستماتة من الطرفين في ديمومتها وبقائها وإزالة وطرد كلِّ ما يعكِّرُها.

لهذا أنت بحاجة إلى فَهم قوانين اللعبة، كما يقال، وكما سمتها صاحبةُ كتاب (إذا كان الحب لعبة، فهذه قوانينها)[١].



(١) تأليف: د. شري كارتر سكوت.


الوَسَائل العَشْر
للحُبِّ الدّائِم

الوَسَائِل العَشْر للحُبِّ الدَّائِم

إذا كان الحب الزوجي عرضة للمرض أو للموت، فعليكَ أن تحاولَ تجديده والمحافظة عليه:

أولًا: تعوَّدْ على استخدام العبارات الإيجابية، كالدعوات الصالحة، أو كلمات الثناء:

قل لزوجتك: لو عادت الأيام ما اخترت زوجة غيرك! وقولي أنت لزوجك مثل هذا.

إن الكلام العاطفي يثير المرأة، وهو السلاح الذي استطاع به اللصوص اقتحام الحصون والقلاع الشريفة، وسرقة محتوياتها الثمينة.

إن الكلمة الطيبة تنعش قلب المرأة؛ فقلها أنت قبل أن تسمعها من غيرك.

ثانيًا: التصرفات الصغيرة المعبرة:

مثل: إن وجدتَها نائمة؛ فضع عليها الغطاء.

اتصل بها من العمل؛ لتسلِّم عليها فقط، وأشعِرْها بذلك.

أو أن تجد المرأة الرجل نائمًا؛ فتقبِّله على رأسه، حتى لو ظنت أنه لا

يشعر؛ فإن له حاسة تعمل، حتى خلال النوم، لا تظني أنه لا يدري!

أرأيت كيف قال النبي ﷺ: «**حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**»[1].

قد يعني هذا: الإنفاق على المرأة، لكن النبي ﷺ لم يعبِّر بالإنفاق، وإنما عبَّر باللقمة يضعها أحدنا في فم امرأته.

وهكذا كان النبي ﷺ يصنع مع أهله.

إن ذلك جزء من الذوق، إذا تعوَّد المرء عليه؛ فإنه لا يحتاج إلى كبير جهد لممارسته.

ومَن لم يتعوَّد ذلك، ربما إذا سمع هذا الكلام يشعر بالخجل وبالإحراج، ويفضل بقاء الأمور كما هي عليه، بدلًا من هذه المحاولة، التي ربما يعتبرها مغامرة.

أنت بحاجة إلى أن تُدخِل عادات جديدة في حياتك وسلوكك، وإلا سوف تظل تواجه المشكلات.

ثالثًا: تخصيص وقت للحوار بين الزوجين:

الحوار عن الماضي، وذكرياته الجميلة؛ فإن الحديث عنها يجدِّدها كما لو كانت وقعت بالأمس.

الحوار عن المستقبل، وعن وعوده وخططه وحظوظه الجيدة.

الحوار عن الحاضر وإيجابياته وسلبياته، وكيف نستطيع التغلب على مشكلاته.

---

(١) سبق تخريجه.

رابعًا: التقارب الجسدي:

ليس فقط من خلال الوصال والمعاشرة، بل الاعتياد على التقارب في المجالس و في المسير.

وإن كان هناك مَن لا يزال يستحي أن يرى الناس امرأته تمشي بجانبه، أو حتى تمشي وراءه.

خامسًا: تأمين المساعدة العاطفية عند الحاجة إليها:

فقد تكون المرأة حاملًا، أو في فترة الدورة الشهرية؛ و تحتاج إلى الوقوف معها معنويًّا؛ وذلك بتقدير حالتها النفسية؛ فقد قال أهل الطب: إن معظم النساء في حالة الحمل أو الحيض أو النفاس، يعانين من توتر نفسي تضطرب معه بعض تصرفاتها.

ومن هنا تحتاج المرأة إلى مؤازرة عاطفية، تُشعِرها بحاجة الزوج لها وعدم استغنائه عنها خاصة في مثل هذه الحالة.

وقد يكون الزوج أيضًا مريضًا أو مُجهَدًا، فينبغي للزوجة أن تراعي ذلك، وأي علاقة بشرية إذا أراد طرفاها أن تدوم، فلا بد فيها من أن تُشْعِر الآخر بقربك منه وبوقوفك معه.

سادسًا: التعبير المادِّي عن الحب:

من خلال الهدية سواء كان ذلك بمناسبة أو بغير مناسبة، والمفاجأة لها وقع جميل.

اختر هدية معبِّرة، وليس المهم في الهدية قيمتها المادية عند المرأة؛ بل بمناسبتها وملاءمتها لذوقها وما تحبه، وتعبيرك عن شعورك بها،

واستذكارك لها.

سابعًا: إشاعة روح التسامح والتغافل عن السلبيات:

كرِّر الصفح ونسيان الأخطاء خاصة في الأمور الحياتية البسيطة التي ينبغي لكريم النفس ألا يتعاهدها بالسؤال.

وفي حديث أم زرع: «قَالَتِ الخَامِسَة: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ»[(١)].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: (يحتمل المدح بمعنى: أنه شديد الكرم كثير التغاضي لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعايب، بل يسامح ويغضي)[(٢)].

ولا تنتظر أن يردَّ عليك مَن تصاحبه الحسنة بمثلها دائمًا، فلا بدَّ من العدل والإنصاف.

ومن الخطأ، أن نضع إبهامنا على طرف الكفة عند حسابنا أخطاء الآخرين؛ وأن نطيل ونفصِّل عند حساب صوابنا!!

وفي الأثر: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ القَذَاةَ في عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الجِذْعَ فِي عَيْنِهِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٢، ٨٨٦) موقوفًا على أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وروي مرفوعًا ولا يصحُّ.

قال ابْنُ مُفْلِحٍ:

عَجِبْت لِمَنْ يَبْكِي عَلَى مَوْتِ غَيْرِهِ
دُمُوعًا وَلَا يَبْكِي عَلَى مَوْتِهِ دَمَـا

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ
عَظِيمًا وَفِي عَيْنَيْهِ عَنْ عَيْبِهِ عَمَى

ثامنًا: التفاهم حول القضايا المشتركة:

كالأولاد، المنزل، العمل، السفر، المصروف، بعض المشكلات التي قد تهدِّد الحياة الزوجية.

تاسعًا: التجديد وإذابة الجليد:

بإمكان الإنسان -رجلًا، أو امرأة- أن يقرأ كتابًا، أو يسمع شريطًا؛ حتى يستطيع أن يجدد الحياة الزوجية، وأن يضيف عليها من المعاني، والتنويع في: الملبس، والمأكل، والمشرب، والأثاث، والمنزل، وطرق المعاملة، والمعاشرة ما يجعل الحياة تستمر، وتجدُّ، ولا يتسرَّب إليها الملل، أو السأم.

عاشرًا: حماية العلاقة من المؤثِّرات السلبية، مثل:

المقارنة مع الأخريات:

فإن الكثير من الرجال يقارنون زوجاتهم مع زوجة فلان، أو حتى مع فتاة رآها في مجلة، أو في الشاشة، أو غيرها.

والمرأة قد تقارن نفسها مع صديقاتها!!

فهذه زوجها غني، وتلك زوجها وسيم، وهذه زوجها كثير السفر

معها، وهكذا...

فتقارن نفسها بهؤلاء، وبالتالي تشعر بالغُبْن، أو النقص.

إن هذه المقارنات تدمِّر الحياة الزوجية، وتُزَهِّد كلًّا منهما في الآخر.

والمفترض أن تكون النظرة المقارنة مع مَن هو أقل منك!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ**»[١].

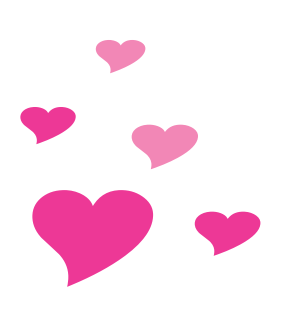
علينا أن نتعوَّد أن نعيش واقعنا، وأن نقنع بما كتب الله سبحانه وتعالى لنا، وألا نَمُدَّ أبصارنا وأعيننا إلى ما عند الآخرين، فالشيء القليل الذي عندك إذا أحسنت استخدامه سيكون كثيرًا.

وقد يكون كثيرٌ ممن يتحدثون عن السعادة ويثنون على أزواجهم غير صادقين في ذلك، ولكنهم يتشبَّعون بمثل هذه الأمور، أو يقولونها من باب المجاملة عند الآخرين.

وعادة ما تبدو الزهور التي في بساتين غيرنا أجمل؛ بسبب أن أيدينا لا تقترب منها.



(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).



الوِصَال الجَسَدِي



الوِصَال الجَسَدِي

قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

إن الله ﷻ عبَّر بلفظ «**اللباس**» دون غيره، وجعل الرجل لباسًا للمرأة، وجعل المرأة لباسًا للرجل!

لأن للباس هنا معاني عظيمة، قد لا نحيط بها؛ ولكن نحاول بالتأمل أن نوضح شيئًا منها:

أولًا: اللباس: هو الشيء الذي يتصل بك اتصالًا جسديًّا مباشرًا دون حواجز.

يقول النابغة:

إذا ما الضَّجيعُ ثنى جِيدَها تَداعتْ فكانت عليه لباسًا

ثانيًا: لفظ اللباس للرجل والمرأة فيه معنى التكافؤ النفسي، والبدني.

فللمرأة دورُها، وللرجل دورُه.

والمرأة ليست مجرد موضع لقضاء الوطر أو الحاجة الخاصة؛ بل هي شخصية إنسانية، مكافئة للرجل؛ ولهذا كان كل منهما لباسًا للآخر في الحياة كلها.

ثالثًا: اللباس زينة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

فالمرأة زينة للرجل، والرجل زينة لها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنِّي أُحِبُّ أن أَتَزَيَّنَ للمرأةِ، كما أُحِبُّ أن تَتَزَيَّنَ لي المرأةُ؛ لأَنَّ اللَّـهَ تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾، وما أُحِبُّ أن أَسْتَنْطفَ -أي أستخلص- جميع حَقِّي عليها؛ لأَنَّ اللَّـهَ تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾[البقرة: ٢٢٨]»[1].

إنها زينة مادية؛ فالمحب الصادق يرى من الجمال في محبوبه ما لا يراه الآخرون.

وهي زينة معنوية؛ فالوفاء و«**حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإيمَانِ**» كما قال النبي ﷺ[2].

والمرأة تتزيَّن بزوجها؛ فهي تتحدث عنه عند رفيقاتها وصديقاتها، وربما تشبَّعت بما ليس فيه؛ فتقول: إنه أعطاها كذا، وإنه يحبها و يؤثرها، ولو لم يكن الأمر كذلك! وكل ذلك من التزين للزوج.

رابعًا: اللباس ستر:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾ [الأعراف: ٢٦].

(١) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٩٦)، وتفسير الطبري (١/ ٦٢٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦١٠)، والدر المنثور (٢/ ٦٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٤) (٢٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١)، والحاكم (١/ ١٦)، والبيهقي في الشعب (٩١٢٢، ٩١٢٣).

فيستر نفسه وأهله بالحلال عن الحرام.

ويستر نفسه وأهله، فلا يبوح بأسرار الحياة الزوجية؛ سواء كانت أسرار المعاشرة الجسدية، أو أسرار العلاقة، أو كانت المشكلات التي تقع بين الزوجين، ولا يجوز أن تكون مضغة تُلاك على ألسُنِ الأقارب، والأباعد.

خامسًا: اللباس طهارة:

ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤].

وفي ذلك نفيٌ للاستقذار الذي يستشعره بعض مرضى النفوس من الزواج، أو العلاقة الزوجية، أو أنهم يستعيبون الحديث الشرعي المفصَّل عنها.

إن الله سبحانه وتعالى جعل الزواج من سنة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

وكانت سنة النبي ﷺ مبثوثة في قوله: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

وعلى هذا، فاللباس طهارة وعفة لا يُستحَى منها.

سادسًا: اللباس غنى واستغناء:

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

---

(١) سبق تخريجه.

سابعًا: اللباس نعيم ولذة:

ولذا جعله الله سبحانه وتعالى من نعيم أهل الجنة: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

فالزوجية لباس لذة ونعيم: نعيم للبدن، ونعيم للروح؛ يحدث التوازن، ويزيل التوتر.

والمحرومون من ذلك يخيِّم عليهم -غالبًا- نوع من الكآبة، والحزن والقلق وعدم الاستقرار النفسي.

ثامنًا: اللباس وقاية وحماية ودفء:

كما قال الله ﷻ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ...﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وكان النبي ﷺ إذا اغتسل يستدفئ أحيانًا بعائشة رضي الله عنها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رُبَّمَا اغْتَسَلَ النَّبِي ﷺ مِنَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ جَاءَ؛ فَاسْتَدْفأَ بِي، فَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ وَلَمْ أَغْتَسِلْ»(١).

تاسعًا: اللباس هدوء وسكينة:

ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠].

فالمرء يجد في الزواج سكينته، وطمأنينته.

ولهذا بشَّر النبي ﷺ السيدة خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة من قصب،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٣)، وابن ماجه (٥٨٠).

لا صخب فيه ولا نصب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أَتَى جبريلُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذه خديجةُ قَدْ أَتَتْ معها إناءٌ فيه إِدَامٌ، أو طعامٌ، أو شرابٌ، فإذا هي أتتك؛ فاقرأ عليها السَّلام مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا ببيتٍ في الجنَّةِ مِن قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ**»[1].

قال أهل العلم: إنما بشَّرَها بذلك؛ لأن بيتها في الدنيا كان كذلك، ولم يكن ككثير من البيوت، ترتفع فيه الأصوات ويكثر فيه الصراخ والخلافات، وتعصف به المشاكل الزوجية[2].

عاشرًا: اللباس حفظ لعورة الإنسان وجسده:

فالمرأة تحفظ الرجل في نفسها، وماله، وولده، وهو يحفظها في نفسه، وفي سرِّها، وفي الوفاء بعدها.

كما قال الله عز وجل: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

الحادي عشر: اللباس طيب:

كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

الثاني عشر: اللباس مباشَرة:

فهو يلي بدنك وجلدك، وكأن كلًّا من الزوجين يستغني بالآخر عن اللباس حال الاتصال الجسدي، أو يجعله شعارًا يباشر بدنه في الحياة كلها، وليس فقط في لحظة الجنس العابرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٠، ٧٤٩٧)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٨).

الثالث عشر: اللباس نظافة وغسل:

يتجدد به الثوب، وتتجدد به الحياة، كلما طرأ عليها شيء من الكدر أو الاتساخ، أو البِلى والتقادم، وهكذا تحتاج الحياة الزوجية إلى التجديد؛ كما يجدد الإنسان ملابسه يومًا بعد يوم.

الرابع عشر: اللباس خصوصية:

فلا أحد يلبس ثيابك، وأنت لا تلبس ثياب الآخرين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦].

الخامس عشر: اللباس تجدد وتنوع:

مَن منَّا لا يملك إلا ثوبًا واحدًا؟! ولهذا قال لنا ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقد سُئل النبيُّ ﷺ عن حدود استمتاع الرجل بزوجته، فأباح صور الاستمتاع الشرعي كلها، لم يستثن من ذلك إلا أمرين:

الأول: الإتيان في الدبر.

الثاني: الجماع حال الحيض، كما قال ﷺ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**»[1]. يعني: حال الحيض.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢).

العلاقة الزوجية بلغة راقية:

ذكر الله ﷻ الجماع في القرآن الكريم في عشرات المواضع كما جاء في السنة مثل هذا؛ لكن اللغة التي وردت فيها هذه الكلمة لغة سامية راقية، **فمن ذلك:**

١- المسُّ:

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فعبَّر بالمسِّ عن الجماع.

٢- اللمس، أو الملامسة:

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة: ٦].

وفي قراءة سبعية: (أو لَـمَسْتُم النساء)[١]، والراجح أن المقصود بذلك هو الجماع أيضًا[٢].

٣- التَّماس:

كما في سورة المجادلة: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]، وهو مثل الملامسة؛ يعبر عن التكافؤ في العلاقة بين الذكر والأنثى، وأن المعاشرةَ ليست فعلًا من الرجل تستقبلُه المرأة وتستسلِمُ له، بل هي مشاركةٌ وتفاعلٌ واعٍ، يعبِّر عن الفطرة الإنسانية، ولا يأنف أن يعمل الشيء في وقته وبشروطه وإطاره الشرعي.

---

(١) ينظر: «معجم القراءات» (٢/ ٢٣٥).

(٢) ينظر: الدر المنثور (٤/ ٤٥٩)، تفسير الثعلبي (٣/ ٣١٤)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٢٣).

٤- الإفضاء:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١].

٥- المباشرة:

﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٦- الدُّخول:

﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء: ٢٣]. والدخول: الجماع، على القول الراجح[١].

٧- الغَشيان:

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

٨- الرَّفث:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٩- القربان:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

١٠- الإتيان:

﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

١١- الطَّمْث:

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦].

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٨٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٧).

١٢- النِّكاح:

في بعض المواضع يقصد به الجماع، وفي أكثر المواضع يقصد به العقد بين الزوجين.

وكذلك في السنة النبوية تجد معاني أخرى مثل:

١٣- الوطء والطواف:

كما في قصة سليمان عليه السلام، قال ﷺ: «**قال سُلَيْمَانُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ على تِسْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

١٤- العُسَيْلَة:

عبر بها النبي ﷺ لامرأة رفاعة القُرَظِيِّ رضي الله عنهما، فقال ﷺ: «**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ**»(٢).

أي: لا تعوُدِي لزوجك الأول؛ حتى تقع المعاشرة مع زوجك الثاني، ولا يكفي مجرد العقد.

ومن هذا؛ يتبين أن ذكر الوصال الجسدي بين الرجل والمرأة، ورد مرات كثيرة في القرآن والسنة، لكنه بأسلوب راق رفيع، يتناسب مع الذوق السليم، ويحوِّل هذه اللحظة العضوية الجسدية إلى حالة من القبول، والرضا، والاستحسان؛ بل إنه يرتقي بها إلى درجة العبودية، والعمل الصالح، وإلى درجة الصدقة.

وهذا يدل على إمكانية تناول هذه الموضوعات: تعليماً، وتربية،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

ودرسًا؛ دون خدش للحياء.

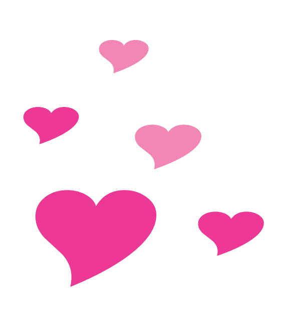
فالجهل بها؛ قد يكون من أسباب الغواية والفساد والانحراف.

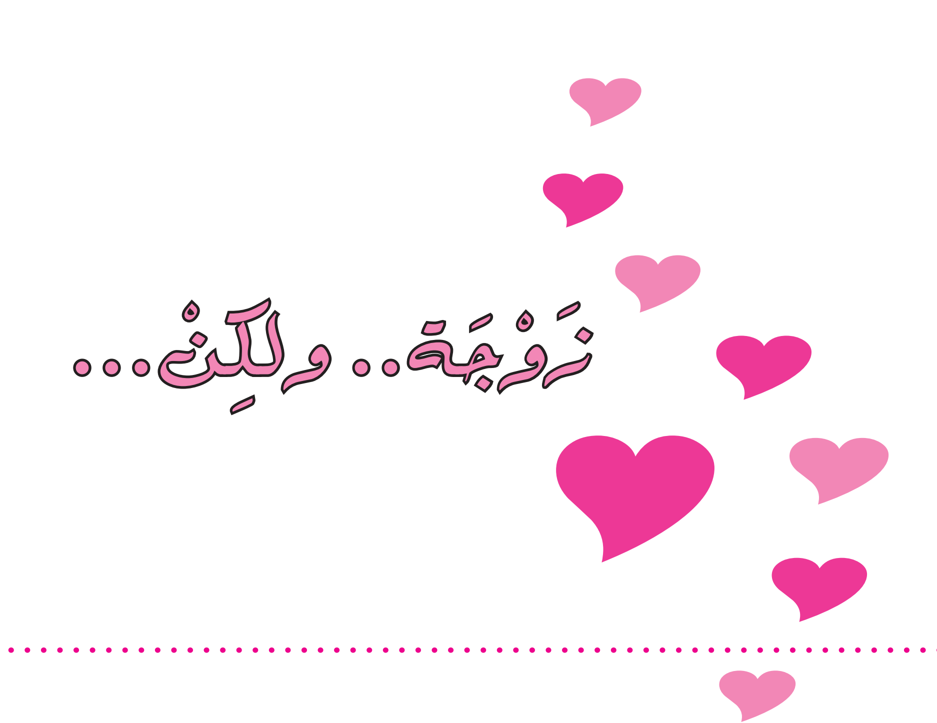
وإذا لم يحصل المراهقون على معلوماتٍ صحيحة، وفي الهواء الطلق، فهم يتسلَّلون إلى مواقع تسوِّق الوهمَ، أو تصنع الإغراء، أو تنشر المعلومات المغلوطة، أو يتبادلون كتبًا غيرَ علميةٍ.

وقد يورثهم الإفراطُ في التكتُّم حالةً من عدم الانسجام النفسي، وضعفِ التكيف مع تركيبهم البدني، ويرتد هذا عجزًا عن الاستمتاع الحلال، ولتتأملي بنتي الكريمة كيف مدح الله صورة الإنسان وجسده وخلقه، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [فاطر: ٦٤].

إن هوَسَ الجمال مرضٌ يقابله هوس الإحساس بالقبح أو الدَّمامة، بينما جمال الروح والتكيُّف مع الذات يُضفِي على الجسَدِ العادي معنىً خاصًّا تقرؤه العيون.






زَوْجَة.. ولكِنْ...

زَوْجَة.. ولكِنْ...

عالم الفتيات...مليء بالأحلام الوردية، والآمال المشرقة، ولا سيما زوج المستقبل، وشريك العمر، ورفيق الدرب؛ فهذه تريده شابًّا وسيمًا، وتلك تريده رومانسيًّا حالمًا، وثالثة تريده غنيًّا، ورابعة تريده نجمًا شهيرًا.

إن هذه الأحلام تصطدم بعقبات كثيرة، تَـحُول دون بلوغ الفتاة لأشواقها، وإدراكها لأمانيها وأحلامها، فمن ذلك:

١- إتمام الدراسة.

والواقع أن الزواج لا يتعارض مع الدراسة، خصوصًا إذا تمَّ التفاهم بين الزوجين على ذلك.

وفي تقديري أنه في ظل الواقع المتغيِّر، والآثار الكبيرة التي تفتك بأولادنا وبناتنا، ومع تسلُّط القنوات الفضائية بوسائلها المختلفة، والانفتاح العالمي الهائل؛ يصبح أمرُ الزواج والمبادرةُ إليه ضرورةً ينبغي تقديمها على غيرها، وأولوية ينبغي أن تحظى باهتمام الفتاة، وباهتمام الوالدين أيضًا.

٢- الأب.

فربما كان عند الأب مجموعة من البنات، يَصْرِفُ عنهن الخُطَّاب لأسباب مادية، أو أعراف عشائرية، كاحتجاز الفتاة لابن عمها، أو لأي سبب آخر.

إنها جريمة نكراء تقشَعِرُّ منها الجلود، وإذا كانت معاني الإيمان والخوف من الله جلَّ جلاله قد اختفت من قلب هذا الأب أو الولي؛ فهلَّا وجد في قلبه بقية من إنسانية أو رحمة! تلك الرحمة التي تستشعرها الوحوش الكواسر فتحنو على أولادها، قد يكون هذا الأب نائماً مع إحدى زوجاتِه، وبناتُه يتقلبن على الجمر؛ لحرمانهن من أعظم نعمة جسدية جَبَلَ اللهُ الإنسانَ على تطلُّبِها والبحث عنها.

وإذا لم يكن عند الأب هذا ولا ذاك، فهلَّا أشفق على سمعته التي أصبحت الألسنة تلوكها، وهلَّا خاف من فضيحة مُدَوِّية مجلجِلَة هو سببها وصانعها وعرَّابها !!

إن الله ﷻ يخاطب كل مؤمن في قوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ﴾. فأين مَن يؤمن بالله واليوم الآخر؟! ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

إن عَضْل البنات ومنعهن ممن يُرِدْنه من الأزواج الأَكْفَاء المناسبين ظلم فادح؛ يجب أن يتدخل المعارف والأقارب لرفعه، وفك أَسْر هؤلاء المعضولات المأسورات؛ فإذا لم يُـجْدِ ذلك فليتدخل القضاء، ولتقم لجان

شعبية ورسمية؛ لحماية البنات من عضل الآباء، والوقوف أمام عدوانهم.

نعم، إن الأصل في الأب الرحمة والإشفاق، ومقبول منه أن يمتنع من هذا الخاطب أو ذاك لسبب صحيح؛ لكن هناك حالات وإن كانت ليست كثيرة لكنها أليمة، وتحتاج إلى تدخل؛ لأن البنت قد تحجم عن أي شكوى أو شكاية؛ خشية إفساد ما بينها وبين أبيها، أو أن ذلك قد يسيء إلى سمعتها، أو لأنها لا تستطيع الخروج من المنزل أصلًا، ولا مخاطبة أحد بهذا الأمر، فيذهب عمرها ويذوي شبابها في انتظار مرير.

فيا أيها الأب: ليست البنت لابن عمها ضرورة، ولم يعطك الله الحق في التصرف بجسدها، ومستقبلها كما تشاء.

٣- الشاب الذي يطلب الزواج، إنه يطالب بامرأة جميلة، والجمال عنده هو ما اعتادت عينه على مشاهدته في الأفلام والمسلسلات والشاشات، يريدها بيضاء طويلة صغيرة، يريدها في جمال الممثلات، وتقوى الصحابيات، وغنى المليونيرات!! دون أن يكلِّف نفسه عناء التأمل في حاله هو، أو أن ينزل إلى أرض الواقع، وليس الأحلام.

وربما كانت هذه من مفاسد إدمان المشاهد التي جعلت الشباب يعيشون في عالم خيالي لا يمتُّ إلى الواقع بصلة، وحتى لو تنازل هذا الشاب فستظل غصَّة في حلقه، وتؤثر على علاقته المستقبلية مع زوجته، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [النور: ٢١].

٤- التكاليف الباهظة، والمتطلبات المادية المسرفة التي أثقلت كواهل الشباب، فعزفوا عن الزواج.

وقد قام مشايخ وأعيان بعض القبائل بمبادرة موفَّقة لتحديد تكاليف الزواج، وتحديدها تحديدًا عرفيًّا معقولًا، وهي خطوة تستحق الإشادة والثناء.

فتاة تجاوزت الثلاثين، تقول: إن والدها يشعر بجنون العظمة، ويعتقد أنه شخص مرموق، ولذلك يُصرُّ على عدم تزويج البنت، إلا ممن يملأ عينه، وهذا لم يأت.

فتاة جامعية أخرى، يستلم والدها مرتبها كاملًا، ويرفض زواجها!

نشرت إحدى الصحف أن العوانس في السعودية أكثر من مليون ونصف مليون فتاة، وربما كانت هذه الإحصائية قراءة غير دقيقة للإحصائيات الرسمية، لكنها تدل على وجود مشكلة حقيقية.

إن تأخير الزواج مُعضِلة يجب أن يسعى الجميع في حلها، وأن تعالَج بشكل علني، وأن يتناولها العلماء والخطباء والمفكرون والمتحدثون والمصلحون، وأن يتم تسهيل إجراءات الزواج، وقيام المؤسسات المتخصصة في ذلك ماديًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا.

وبهذه المناسبة أشيد بالجهود الكبيرة لجمعيات الزواج في المملكة التي تسهم في تذليل العقبات أمام الشباب والفتيات، والواقع يحتاج إلى مضاعفة هذه الجمعيات وتوسيع نشاطها..





فَتِّشْ أَوْرَاقَ زَوْجَتِكَ



فَتِّشْ أَوْرَاقَ زَوْجَتِكَ

غابت عنه لبعض شأنها، ووجد نفسه وحيدًا في غرفة نومها، وهجمت عليه سانحة من الفضول: لِـمَ لا أتصفح هذا الدفتر الملقى عرضًا بجانب السرير؟!

تصفَّح، فوجد رسومًا ضاحكة، وأخرى حزينة، وفهم شيئًا، وتحيَّر في أشياء، وجد شعرًا جميلًا، وغزلًا، وشوقًا إلى اللقاء!

تُرى هو الـمَعْنِيُّ بذلك أم سواه؟

هل تُخفي في قلبها رجلًا آخر؟

هل جحدت عني شيئًا من تاريخ ما قبل التاريخ؟ هل ثَمَّ تجارب أو مغامرات؟ هل جسدها معي وخيالها مع حبيب آخر؟

تذكَّر أبيات الشناوي :

لا تَكذبي، إني رأيتُكما معًا

ودعي البكاءَ فقد مللتُ الأدمعَا

ما أقبحَ الدمعَ السخينَ إذا جرى

من عين كاذبةٍ فأنكر وادَّعى

إني رأيتُكما ..

إني سمعتُكما ..

عيناكِ في عينيه ..

كفَّاكِ في كفَّيه ..

شفتاك ضارعتان ترتجفان من شوق إليه ..

كوني كما قد شئتِ، لكن لن تكوني

فلقد صنعتُك مِن هوايَ ومن جنوني

ولقد برئتُ مِن الهوى ومِن الجنونِ !

قام إلى هذه الأدراج ففتحها واحدًا بعد الآخر، وأقبل على القصاصات والأوراق يقرؤها بِنَهَم، يبحث عن مشاعر مكتوبة، وأسرار مدفونة، وكنز قد يكون ثمينًا، أو يكون أصبع ديناميت يفجِّر هذه العلاقة المقدَّسة!

وجد قصَّة رمزية رائعة الوصف، مُحكَمة السبْك، لو نشرت لحفَّزت أقلام النقاد والأدباء على التناول والتحليل، وقف عندها طويلًا: يبدو أن المرأة غير منسجمة في علاقتها معي !

ها هي تتحدث عن الحزن والأسى، ها هي الدموع تبلِّل الورق، مشاعر مكتومة، وألم مُمِضٌّ .. هاه .. إذًا كل جهدي ذهب أدراج الرياح، وما ثَمَّ تقدير ولا عرفان للتضحيات التي أقدِّمها !!

يظن بعض الأزواج أن سُلطانهم على الزوجة مطلق، وأنهم مسؤولون عن تفصيلات فكرِها وقلبِها وحياتِها، ولا يفهمون في شأن العلاقة الزوجية إلا مبدأ واحدًا، وهو مبدأ «القوامة».

والقوامة حق قرره القرآن الكريم: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ [النساء: ٣٤].

والنَّص لا يعني المسؤولية المطلقة، فالقرآن الكريم ذاته حَمَّل المرأة مسؤوليتها المباشرة في أعظم الأمور، مسئولية التكليف والديانة: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وهي مسؤولة عن صلاتها، وصومها، وغسلها من الجنابة والحيض، وسائر أعمالها، وذِمَّتها مستقلة ماليًّا، فهي تملك وتبيع، وتشترى وتتصدق دون إذنه، حتى قال النبي ﷺ لصحابياته: «**تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**»[١].

وفي التطبيقاتِ النبوية أَعطى المرأةَ نطاقًا أوسعَ من المشاركةِ والتعبير والسؤال، وقد جاءت خولةُ بنتُ ثعلبة رضي الله عنها تجادل النبيَّ صلى الله عليه وسلم في شأن زوجِها، وتشتكي إلى الله، وأخذتِ الفتوى بنفسها من التنـزيل، وقامت بتوزيع الكَفَّارة، بينما لم يُذكر لزوجها كبيرُ مشاركة في القصة.

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

قل عن نفسك .. ماذا تخفي عن زوجتك؟ هل أنت كتاب مفتوح؟ هل فكرت، أو حاولت، أو غامرت، أو سافرت، أو .. أو .. إلخ؟!

أليس الأصل في العلاقة هو «التكافؤ»؟

حتى إن من تمام التكافؤ أن لغة القرآن الكريم -وهي لغة العرب- سمَّت الرجل زوجًا، وسمَّت المرأة زوجًا أيضًا، فهما زوجان.

وهذا أقوى من لغة التأنيث التي جاء فيها قول الشاعر:

وإنَّ الذي يسعى ليأخذَ زوجتي   كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستثيرُها

فلماذا تبدو فضوليًّا مُصِرًّا على البحث عن أوراق منثورة هنا وهناك؟

أليس للبيوت أسرار؟ أم ترى أنه لا سرَّ عنك؟!

علاقة الزوجية ليست فوقية مطلقة، ولها مثل الذي عليها بالمعروف، و«**اسْمَحْ يُسْمَح لك**»، و«**لا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا**»، و«**مَن تتبَّع عورة أخيه تتبَّع اللهُ عورته، ومَن تتبَّع اللهُ عورته فضحه ولو في عقر داره**».

كُفَّ بعد اليوم عن التلصُّص، وتوقَّف عن تقليب الأوراق، وتعامل مع شريكك على أساس الثقة والاحترام وحسن الظن، وخذ ما ظهر، ودع ما خفي، وإليك النصيحة الواقية من فتن الحياة الزوجية على لسان محمد ﷺ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ، أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»[1]. والله أعلم.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨)، وابن حبان (٥٧٦٠).




مَرْأة بين نارَيْن

مَرْأة بين نارَيْن

الحريَّة.. قبل كل شيء هي قيمةٌ مقدسةٌ شرعًا، وحقٌّ مفروض، وواجب ديني كبير.

ولما جاء المسلمون من الحبشة وذكروا للنبي ﷺ قصة المرأة التي كانت تمشي ومعها قُلَّة مِن ماء؛ فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها على ركبتيها؛ فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلتها؛ فلمَّا ارتفعت التفتت إليه، فقالت: ستعلم يا غُدَر إذا وضع اللهُ الكرسيَّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمتِ الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون؛ فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غدًا ؟!

يقول رسول الله ﷺ: «**صَدَقْتَ، ثُمَّ صَدَقْتَ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّـهُ أُمَّةً لا يُؤخَذُ لِضَعِيْفِهِمْ مِنْ شَدِيْدِهِمْ**»[(١)].

والحرية مطلب عام، وفي مجال المرأة على وجه الخصوص كانت الحرية -في الألفاظ النبوية- معنى راقيًا، يفرِّق فيه بين الحرة في شخصها

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠)، وأبو يعلى (٢٠٠٣)، وابن حبان (٥٠٥٨، ٥٠٥٩).

وخلقها وبين الأَمَةِ المستَرَقَّة المستعبَدة، وتبعًا لذلك الممتهَنة للخدمة والمتعة، ثم حملت هاتان اللفظتان دلائل لاحقة لها علاقة بهذا المعنى، ولذلك لما بايع النبي ﷺ النساء قال: «**وَلَا يَزْنِينَ**». قالت هند بنت عتبة رضي الله عنها: «وهل تزني الحرة ؟!»(١).

فكانت المرأة ذاتُ الأخلاق الكريمة الشريفة العفيفة تسمى بالمرأة الحرَّة.

ولقد قدَّم الإسلام في تشريعه أهم الضمانات لتحقيق الحرية الإيجابية للمرأة؛ فكان رسول الله ﷺ أفضل تطبيق لأداء حقوق المرأة وحفظها.

صعد النبي ﷺ المنبر ونهى عن ضرب النساء، ثم فعل ذلك مرة أخرى، ثم صعد على المنبر مرة ثالثة بعد يومين أو ثلاثة، وقال: «**لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**»(٢).

وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**»(٣).

وسجَّل الله في القرآن الكريم ممارسة بعض الآباء في موقفهم من البنات، وكراهيتهم لولادتهن: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨].

وعدَّه من الإجحاف والسوء والظلم: ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٩].

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٧٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبان (٤١٧٧).

وانتقد مواقف بعضهم من أخواتهم، والضغط عليهن، واستضعافهن.

وفي الحديث عن حق المرأة في الإسلام لن نحتاج إلى التكرار المعهود من أغلب المتحدثين عن هذا الأمر في المقارنة بين وضع المرأة في الجاهلية (قبل الإسلام) ثم وضعها في عصر الإسلام، وبقدر مصداقية هذا الكلام، إلا إنه ينبغي أن نتجاوزه إلى معنى الحق العام ومقارنة المرأة بالوضع الحالي لها، ففي العصر الحديث مجال كبير للمقارنة دون حاجةٍ لجمود عند مثال واحد وحديث معاد.

كثيرون عندما يتكلمون عن قضية كفالة الإسلام لحقوق المرأة يقارنون بين الجاهلية وعصر الإسلام، كأن الإسلام لم يعطِ المرأة دورها وحقَّها وتميَّزها، إلا فقط مقارنة بالجاهلية الأولى، بينما اجترار هذا الخطاب ليس له مسوِّغ، فلم يكن أبناء هذا اليوم قد عاصروا الجاهلية الأولى لكي يعرفوا حقيقة حفظ الإسلام عمليًّا لحقوق المرأة وحريَّتها منسوبة إلى عصور الجاهلية.

حين نقارن التشريع بالتشريع فهذا جيد، وحين نقارن واقع المرأة المسلمة المشهود بواقع المرأة الغربية فهذا جيد أيضًا.

أما أن نقارن واقع الغرب بالجانب النظري التشريعي؛ فهذا يعني الهروب من مشاهدة الواقع البشري المتدنِّي في العالم الإسلامي إلى الصورة الجميلة التي أوصى بها الإسلام، وبعضها قائم موجود، وبعضها غائب، وغيابه حجة على المسلمين أنفسهم.

والحرية معنًى فِطري منضبط وليست قيمةً مطلقة، ولفطريتها فالناس يتطلعون إليها في كل وقت، فنحن نحتاج إلى بيان عصري إسلامي رشيد لهذا المعنى، في خطاب يصدر عن نصوص الوحي وهَدْي التشريع؛ ولذا فثمَّة حاجة ملحَّة إلى أن نُتَرْجِمَ خطابنا الإنشائي عن المرأة إلى برامج عملية واقعية؛ لتربية المرأة وإعدادها عقليًّا، ونفسيًّا، ووجدانيًّا، وماليًّا، لدور صحيح في تنمية المجتمع وقدراته وطاقاته، من أجل تفعيلٍ إسلامي معتدل، عوضًا عن أن يختطف الخاطفون بغير حق المعاني البرَّاقة العامة؛ كالتحرير، ويوظِّفوها في أدوار شخصية أو تخريبية.

وهناك فرقٌ بين معالجة الأخطاء بوضوح وصدق، وبين مَن يسعون إلى تفجير المجتمع من خلال هذه الأخطاء، واستغلالها في خطابات موهمة خادعة واستنبات بذرةٍ غريبة عن المجتمع.

ونحن في مجتمعاتنا الإسلامية نواجه مشكلةً تجاه المرأة من فئتين:

الفئة الأولى:

الذين يطالبون بالانفتاح المطلق، دون ضوابط، بطريقة استنساخ النموذج الغربي للمرأة، بأورامه وأخطائه وديدانه، فهم يقدِّمون نموذجًا بديلا مرفوضًا عند الجميع.

والفئة الثانية:

فئة المتشدِّدين، الذين يهدفون إلى المحافظة على واقع المرأة في المجتمعات الإسلامية، كما لو كان هذا الواقع هو التطبيق الفعلي للإسلام على ما يريده الشرع، ويرفضون أي تعديل إيجابي، بحجة أنه

قد يهزُّ الحال القائم ويفتَح الباب.

فالـحُجَّة هي الخوف، والخوف فقط، وكأن ديننا وواقعنا وقناعاتنا من الهشَاشة بحيث تكون قابلة للذوبان عند أدنى سبب طارئ.

والمرأة مسلوبة الحق بين مطرقة هذا وسندان ذاك.

وعلى الرغم مما بين هاتين الفئتين من فارق الخلفية والثقافة والرأي؛ إلا أنهما يشتركان في تكريس تخلُّف المرأة، وسلبها إرادتها وحقها في الاستقلال والاختيار والتفكير؛ لأن فرض نمط غربي هو قضاءٌ على إرادتها وخصوصيتها الاجتماعية والثقافية.

وأما إرغامها على القبول بكل تفاصيل هذا الواقع الاجتماعي مهما كان، دون الاعتراف بأخطائه؛ فهو الآخر قضاءٌ على حقها في التعبير عن الظلم الذي تواجهه.

ومِن جهة فإن أجهزة الإعلام في غالبها تكرِّس صورة المرأة (الجسد)؛ فتشوِّه كل الصور الأخرى للمرأة التي خلقها الله إنسانًا مُكلَّفًا. يقول الله ﷻ: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

وفي الجهة الأخرى: فإن بعض الطرح الإسلامي يكرِّس الصورة ذاتها من وجه آخر، عن طريق المبالغة في الوعظ والذمِّ المتعلق بالشكل الظاهر للمرأة، وربط أكثر قضايا المرأة الدينية والإسلامية بالجانب

الشكليِّ والمظهريِّ، وحين يتحدثون عن واجبات المرأة فلا يذكرون إلا واجبات الجسد والصورة، وهم بهذا يقدِّمون مادةً جيدة للشانئين في الطعن بحقيقة الخطاب الإسلامي ودوره.

الفئة الأولى تسعى إلى الإفراط في الحرية، وإلحاق المجتمعات الإسلامية بالنسق الغربي، وتحاول استيراد العادات الغربية السيئة إلى شعوب المسلمين.

والفئة الثانية تقيِّد حرية المرأة تقييدًا شديدًا، حتى قد يأخذون منها أدنى حقوقها في اختيار التعليم، والأكل والشرب، والملبس والسكن والعيش والزواج، ويفرضون عليها كلَّ شيء، والمرأة مظلومة في الحالتين؛ فبخسها حقها ظلم وهضم، وتحميلها ما لا تطيق باسم المساواة ظلم آخر واضح.

فحقوق المرأة وحريتها تحتاج إلى رعاية راشدة؛ ترجع إلى التشريع الرباني للتصحيح والتعديل، ولا تعتمد بشكل مطلق على واقع خاص للمرأة في بلد من بلدان العالم الإسلامي.

وكثير من الإسلاميين المدافعين عن قضايا المرأة خوفًا من تغريبها يسوِّغون كل ضروب التعامل مع المرأة في الواقع الإسلامي والعربي، بشكلٍ يطوِّر المشكلة ويعقِّدها، بدل أن يسعى إلى تخفيفها وإيجاد الحلول لها.

وبالطبع: فليس هناك مشكلة للمرأة في التشريع الإسلامي، والواقع ليس تشريعًا، فقد يكون هذا الواقع مرتعًا لبعض المشاكل؛ كالعدوان اللفظي والجسدي، وقضية المرأة المسنَّة التي تُرمَى في دُور الرعاية،

والمرأة الـمُطلَّقة، وما أكثر قضاياها! والأرامل، والمرأة المعضولة عن حقها في الزواج والعيش الرغيد، كما في بعض المجتمعات التي تفتقد قَدْرًا من المدنية والحضارة، وإرغام البنت على الزواج من شخص لا ترغبه.. وغيرها كثير.

وبنفسي قد اطَّلعت على الكثير من أحوال البيوت وأقول -لمن يقول: إن المرأة ليست لها قضية-: (ما من بيتٍ إلا وفيه قضيَّة إلا القليل).

ومراقبة الكثير من سلوكياتنا تجاه المرأة توصِّلُ إلى حقيقة نفسية في تعاملاتنا معها، **وهي:**

إن الجامع لهذه الأخطاء هو الخوف الدائم على المرأة في مجتمعنا، أعني: الإفراط في الخوف على المرأة؛ مما يجعلنا نركِّز دائمًا على مجرَّد وعظها وإرشادها وتحذيرها وتخويفها وملاحظتها الدائمة، وسدِّ كل الأبواب في وجهها؛ مخافة الفتنة والشبهة، وهو خوف محمود بذاته، لكن يجب ضبطه وتعديله وتوازنه.

والمطلوب تِجاه ذلك:

تسليح المرأة بثقتها بنفسها، وثقة الناس بها وبقدراتها، وزرْع الوازع الديني الذاتي في نفسها، وإتاحة الفرصة لها من خلال مؤسسات وأفكار وأنشطة موجودة في المجتمع، تعيد للمرأة الثقة بذاتها.

وعلى سبيل المثال: تفتقد وزارات الشؤون الإسلامية في البلاد الإسلامية إلى الأقسام الخاصة للمرأة؛ مثل الداعيات والمدرِّبات في أشكال دورات ومناشط وغيرها.

ومثال آخر: أين المفتية والفقيهة المسلمة، التي تختص بقضايا المرأة، والتي كانت في تاريخ المسلمين حاضرة ومؤثِّرة، وكانت بعض العالمات أساتذة لبعض التابعين، بل ولبعض الصحابة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أظهر مثال على ذلك؟!

وأعتقد أننا نحتاج إلى منظَّمات مدنية لحماية حقوق المرأة المسلمة، في صيغة إسلامية متَّزِنة، كوجود جمعية في كل مدينة لاستقبال المشكلات وصياغة التوجيهات؛ دفاعًا عن المرأة، وحمايةً لها من العدوان الشخصي وأشباهه، وإحياءً لسنَّة الدفاع عنها في الإسلام؛ عملًا بوصية نبي الرحمة ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(١).

وينبغي تقديم النقد والتقويم لسلوكنا تجاه المرأة، حتى لا نظل مسكونين بهاجس قضية الصِّراع والخصومة مع أطراف أخرى مما يحرمنا صحة النظر إلى قضايا المرأة ومهمتها، وحتى لا نحصر أنفسنا في دائرة الردِّ على الآخرين، في وقت كان فيه هؤلاء الآخرون يتحدثون عن المرأة وقضاياها كأنهم المحامون عنها والمدافعون عن حقوقها؛ فالطرح الإسلامي المعتدل أحق وأولى في تبنِّي هموم المرأة وقضاياها، كما حماها الإسلام من أربعة عشر قرنًا، وكان هذا الدين وسيلةً لاسترجاع حقوقها مِن ظالميها..

وللمرأة الحرة المسلمة حقوق علينا وعلى المجتمع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أو لا يريدون!!

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).




قَبْلَ الوَدَاع

قَبْلَ الوَدَاعِ

إذا ترحَّلتَ عن حَبيبٍ فلا يَهولَنَّكَ البِعادُ

والتَمِسِ العودَ مِن قريبٍ فإنَّ عكسَ الوَداعِ «عادو»

هذه كلمات سطرتها بمداد الحب، وأرسلتها عبر أثير الصدق، وطرزتها بخيوط الإشفاق لبنياتي الكريمات، وإن كنتُ قلتُ الكثيرَ، فلا زلتُ أحسُّ بأني لم أقل شيئًا بعدُ، وكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة، كما يقول الحكماء.

عزائي أني شاركتُ الكثير من (بناتي) أفراحَهن وأتراحَهن، وحاولتُ عبر سنين طويلةٍ تعزيزَ المعاني الإيجابية في نفوسِهنَّ، ومطاردةَ المشاعر والانطباعات السلبية تجاه العمل أو الأسرة أو المدرسة، والتدريبَ على التعامل الهادئ مع المشكلات، مهما بدت صعبة أو معقدة، فلكل حصن بابٌ، ولكلِ بابٍ مفتاحٌ، واليد المرتَعِشَة لن تتمكَّن من وَضْعِ المفتاح في موضعه.

لا زلتُ أطمح في الأفضل، ويصبح الهدف رخيصًا في عيني بمجرد الحصول عليه، لكنني أتقبل هذا؛ لأحفِّزَ نفسي إلى التطلع للأسمى؛

فإنما جمال الحياة بالمحاولة وتقبلِ الفشل مهما كان مرًّا بروح إيمانية، والاستعداد النفسي لخوض الجولة الثانية، وما بعدها.

ومن هنا: ألتمس منكِ بنيتي -بعد أن فرغتِ من قراءة هذه الحروف- أن تشاركي في إعداد الطبعة القادمة من الكتاب، بإرسال أيِّ مقترحٍ أو تعديل أو نقدٍ أو حتى عبارة شكرٍ؛ فهي مما نعتز به، ولعل ذلك كله يجد موضعه في أقرب فرصة.

شكرًا على الثقة التي حَمَلَتْك على قراءة الكتابِ، وشكرًا للاستجابة.

وأستودعُ اللهَ الذي لا تضيع ودائعُه دينَكِ وأمانَتكِ وخواتيمَ عملِك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

